10788
1000382(1)
A 2519
(1231)

ترجمة المولف

ولادته ٦٧٧ — ٧١٣ وفاته

هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد الخطيب وهو اول من تلقب بالخطيب بن علي بن احمد السلماني يكنى ابا عبد الله ويلقب بلسان الدين وبذي الوزارتين وله شهرة فائقة في عالم الادب والسياسة وكان نادرة الدهر وفريد ذلك العصر في النظم والنثر حتى انه يضرب به المثل في ذلك . اصله من مدينة قرطبة ثم سكن لوشه . وبيتهم يعرف في القديم ببني وزير ثم صار يعرف ببني الخطيب . وعائلته عريقة في المجد والعلم . ونشأ على حالة حسنة سالكا سنن اسلافه وكان مبتلا بالارق يسهر الليل الا اقله ولذلك قيل له ذي العمرين لانه كان يعمل في ليله كما يعمل في نهاره وقرأ على كثير من فحول علماء الاندلس والعدوة القريبة والمشرق وافريقيا . واخذ الطب وعلوم الفلسفة وصناعة التعديل عن جهابذة اعلام . وله تآليف كثيرة وكلها على غاية من النفاسة والتحقيق منها : الحلل الموشيه الخ . والاحاطه[2] في اخبار غرناطه . واللمحة[3] البدرية في الدولة النصرية . والحال المرقومه[4] ومعيار الاختيار[5] في ذكر المعاهد والديار . والطريقة[6]

الحلل الموشية
في ذكر الاخبار المراكشية

في ذم الوثيقة . والسحر والشحرة . وريحانة الكتاب . ونجعة المنتاب .
والصيب . والجهام . والكهام . ومفاضلة مالقة وسلا . ورسالة الطاعون .
والمسائل الطبية . والرجز في عمل الترياق . واليوسفي في الطب .
والتاج المحلى في مساجلة القدح المعلى . والكتيبة الكامنة في شعراء المائة
الثامنة . ونفاضة الجراب . والبيزرة والبيطرة . ورسالة تكون الجنين .
والوصول لحفظ الصحة في الفصول . ورجز الطب . ورجز الاغذية .
ورجز السياسه وكتاب الوزارة ومقامة السياسة . والغيرة على اهل
الحيرة . وحمل الجمهور على السنن المشهور . والزبدة المخضة . والرد
على اهل الاباحة . وسد الذريعة في تفضيل الشريعة . وخطرة الصيف
ورحلة الشتاء والصيف . وطرفه العصر في دولة بني نصر . وتحرير
الشبه . واستنزال اللطف الموجود في سر الوجود . وبستان الدول
وهو غريب في معناه في فنون السياسة في ثلاثين جزء ولم يكمل .
وابيات الابيات فيما اختاره من مطالع ماله من الشعر . ورقم الحلل
في نظم الدول . وفتاة الخوان . ولقط الصوان يتضمن المقطوعات
وعائد الصلة . وتلخيص الذهب في اختيار عيون الكتب . ورجيش
التوشيح . ورجز في اصول الفقه شرحه ولي الدين ابن خلدون .
والاكليل الزاهر . وكناسة الدكان بعد انتقال السكان . وعمل من طب

لمن احب . ولدرة الفاخرة والحجج الزاخرة جمع فيه نظم ابن صفوان
والمباخر الطيبة في المفاخر الحطيبة . وخلع الرسن في امر القاضي
ابن الحسن . واعمال الاعمال بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام
وله تآليف في فن المويسقة وغير ذلك يربو عددها على الستين تاليفا
وقد ترجمه كثير من كبار المورخين تراجم حافلة بمناقبه . مزدانة
بسيرته . ومنهم سليل السلاطين الامير اسماعيل بن يوسف بن السلطان
محمد بن الاحمر ترجمه في كتابه المسمى (فرائد الجمان فيمن نظمني
واياه الزمان) ومنهم العلامة الكبير ابن خلدون ترجمه واورد
سيرة حياته في تاريخه الكبير ومنهم الحافظ ابن حجر ترجمه في
كتابه انباء الغمر ومنهم المقري صاحب نفح الطيب الذي ترجم
فيه اهل الفضل من الاندلسيين فقد ترجمه في هذا الكتاب
ترجمة حافلة ونقل فيه كل ما ذكره في شانه المؤرخون بل انه اجلالا
لقدره واعظاما لذكره سمى كتابه هذا باسمه . ووسمه بوسمه .
وهو (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . وذكر وزيرها
لسان الدين ابن الخطيب) ومما ذكره فيه في التعريف بلسان
الدين قوله

هو الوزير الشهير الكبير . لسان الدين الطائر الصيت في المغرب

والمشرق المزري عرف الثناء عليه بالعنبر والعبير. المثل المضروب في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف انواعها ومصنفاته تخبر عن ذلك ولا ينبئك مثل خبير. علما لرؤساء الاعلام. الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والاقلام. وغني بمشهور ذكره عن سطور التعريف والاعلام واعترف له بالفضل اصحاب المعقول الراجحة والاحلام وقال في موضع آخر في غضون الكلام على فضله وعلمه ان له من التآليف نحو الستين وكلها في غاية البراعة.

وقد نكبه بنكبة السلطان محمد بن الاحمر بسعاية احد تلاميذته المشهور بابن زمرك الذي ولي الوزارة بعده وسعى في نكبته وقتله بتهمة ذهابه مذاهب الفلاسفة القائلين بالحلول والاتحاد وهي تهمة باطلة برأه منها المؤرخون وصورة ذلك هو ما ذكره المقري

ويجمل بنا هنا ان ننقل نقلا مما ترجمه به المؤرخ الكبير ابن خلدون لتتم الفائدة وهذا ما قاله فيه رحمها الله:

اصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة كان له بها سلف معروفون في وزارتها وانتقل ابو عبد الله الى غرناطة واستخدم لملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وقرأ وتادب على مشائخه واختص بصحبة الحكيم المشهور

يحي بن هذيل واخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب واخذ عن اشياخه وامتلا حوض السلطان من نظمه ونثره من انتقاة الجيد منه وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما. واتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الاحمر وملا الدولة بمدائحه وانتشرت في الآفاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته واثبته في ديوان الكتاب بابه مرؤسا بابي الحسن بن الحباب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية ولما هلك ابن حباب سنة تسع واربعين وسبعمائة ولى السلطان ابو الحجاج يومئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب بابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان في تولية العمال على يديه بالمشاركات فجمع له بها اموالا وبلغ به المخالصة الى حيث لم يبلغ باحد من قبله وسفر عنه الى السلطان ابي عنان ملك بني مرين بالعدوة معزيا بابيه السلطان ابي الحسن فجلى في اغراض سفارته. ثم هلك السلطان ابو الحجاج وبويع ابنه محمد بالامر لوقته فافرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفا له في امره واشتركا في الاستبداد معا. ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب

سفيرا الى السلطان ابي عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها استاذنه في انشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي نجواه فاذن له فانشد وهو قائم ابياتا اهتز السلطان لها فاذن له في الجلوس وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع اليهم الا بجميع عطائهم . ثم ثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع مطالبهم . قال القاضي ابو القاسم الشريف : لم يسمع بسفير نضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا هذا . وبعد ذلك اعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه الى ان شفع فيه ثم سار في ركاب السلطان الى وادي آش قادمين على السلطان ابي سالم فارغد عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استاذنه السلطان في التحول الى جهات مراكش والوفود على آثار الملك بها فاذن له وكتب الى العمال بالتحافه فبادروا في ذلك وحصل منه على حظ وعند ما مر بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن وانشد قصيدته على روية الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

ان بان منزله وشطت داره قامت مقام عيانه اخباره

قسم زمانك عبرة او غبرة هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان ابو سالم في ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس فاستقدم ابن الخطيب من سلا ورده الى منزلته كما كان . وبعد ذلك فصل عن الوزارة ثم اعيد الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته وادركته الغيرة من عثمان بن يحي مقدم القوم في الدولة ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان واخذ في التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته واودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان واخذ ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صمم السلطان عن قبولها وانما الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده في التفويض عنهم

وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة

من القدح فيه والسعاية وربما خيل ان السلطان مال الى قبولها وانهم
قد احفظوه عليه فاجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستاذن
السلطان في تفقد الثغور الغربية وسار اليها في لمة من فرسانه ومعه
ابنه علي الذي كان خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل
الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه اذ ند بين يديه فخرج قائد
الخيل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز ملك العدوة قد اوعز اليه
بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه بها
بانواع التكرمة وامتثال الاوامر ثم سار بقصد السلطان فاهتزت له
الدولة واركب السلطان خاصته لتلقيه واحله بمجلسه بمحل الامن
والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة واخرج لوقته كاتبه ابا يحي
ابن ابي مدين سفيرا الى الاندلس في طلب اهله وولده فجاء بهم
على اكمل الحالات من الامن والتكرمة .

ثم لغط المنافسون له في شأنه واغروا سلطانه بتتبع عثراته وابدوا ما
كان كامناً في نفسه من سقطات دابته واحصاء عصابته وشاع على
السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة احصوها عليه ونسبوها اليه
ورفعت الى قاضي الحضرة الحسن بن الحسن فاستدعاه وسجن
عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضي ابو

الحسن الى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات
وامضاء حكم الله فيه فصمم لذلك وانف لذمته ان تخفر ولجواره ان
يردى وقال لهم :

هلا انتقمتم وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه واما انا فلا يخلص
اليه بذلك احد ما كان في جواري ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه
ولمن جاء من فرسان الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز
سنة اربع وسبعين سار هو في ركاب الوزير ابن بكر بن غازي
القائم بالدولة فنزل فاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء
المساكن واغتراس الجنات وحفض له القائم بالدولة الرسوم التي
رسمها له السلطان المتوفى . ولما استولى السلطان ابو العباس على
البلد الجديد دار ملكه قبض على ابن الخطيب واودعوه السجن
وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر فبعث كتابه ووزيره بعد ابن
الخطيب وهو ابو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس
واحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة واهل الشورى
وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فعظم عليه النكير فيها
فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا ثم تل الى محبسه
واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وافتى بعض

الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود رديف وزير السلطان لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا في لفيف الخدم مع سفرآء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خفتاً في محبسه واخرجوا شلوه من الغد على شأفة قبره طريحا وقد جمعت له اعواد واضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره واعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته .

ثم قال : وعجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها سليمان واعدوها من هناته وعظم النكير فهيجا عليه وعلى قومه واهل دولته والله الفعال لما يريد . وكان عفى الله عنه ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربنا فناحت عليها البيوت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * بوفات ومن ذا الذي لا يفوت

فمن كان يفرح منكم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

وقد ترجم المؤلف نفسه في اخر كتاب الاحاطة ونقل عنه المقري في سبب نكبته ما خلاصته :

وخلفني يعني اباه عبد الله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولا بالقبول مكنوفا بالعناية فقلدني السلطان سره ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة الى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى الى يدي بخاتمه وسيفه واثتمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه . ولما هلك السلطان ضعف ولده حظوتي واعلى مجلسي وقصر المشاورة على نصحي الى ان كانت عليه الكائنة فاقتدى بي اخوه المتغلب على الامر فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله اهل الشحناء من اعوان ثورته على القبض علي فكان ذلك وتقبض علي ونكث ما ابرم من امانى واعتقلت بحال ترفيه وبعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاعلاق واستوصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذرات النظائر ولاربات الامثال في تجر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الالات ورفعة الثياب واستجارة المدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة

ولا فسح في الترك مجالا فقدمت عليه بولده وقد ساء بامساكه رهينة ضده ونقض رهينة الفتح بعده على حال من التقشف والزهد فيما بيده وعزف عن الطمع في ملكه وزهد في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات

قالوا لخدمته دعاك محمد * فانفتها وزهدت في التنويه

فاجبتهم انا والمهيمن كاره * في خدمة المولى محب فيه

لما عاهدت الله على ذلك وشرحت صدري للوفاء به وجنحت الى الانتقال لبيت الله الحرام نشيدة املي ومرمى نيتي وعملي فعاق بي وخرج لي عن الضرورة واراني ان مؤازرته ابر القرب وراكنني الى عهد بخطه فسح لعامين الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه في طلب الزيادة على تلك النسبة واشهد من حضر من العلية ثم رمى الي بعد ذلك بمقاليد رأيه وحكم عقلي في اختيارات عقله وغطى من جفائي بحلمه وحثا في وجوه شهواته تراب زجري ووقف القبول على وعظي وصرف هواي في التحول ثانيا قصدي واعترف بقبول نصحي . الى ان قال ومع ذلك فلم اعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر في الشرر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة الدهماء ورعاية سخطة ارزاق السماء

والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الحمولة وقوام الفلاحة والخيل فاخذ البيع وتناهبتها الاسواق وصاحبها البخس ورزأتها الخونة وشمل الخاصة والاقارب الطالب واستخلصت القرى واعملت الحيل وطوقت الذنوب امد الله تعالى بالعون وانزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من الهوات :

تخلصت منها نكبة مصحفية * لفقدانها المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي شرطا في العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطاني المكبور الحق الى المغرب وبالغ ملكه في بري : منزلا رحبا وعيشا خفضا واقطاعا جما وجراية ما وراءها مرمى وجعلني بمجلسه صدرا ثم اسعف قصدي في تهيوء الخلوة بمدينة سلا منوه الصكوك منها القرار متفقدا بالها والخلع مخول العقار موفور الحاشية مخلى بيني وبين اصلاح معادي الى ان رد الله تعالى على السلطان امير المسلمين ابي عبد الله امير المسلمين ابى الحجاج ملكه وصار اليه حقه فطالبني بوعد ضربته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعني عذرا

وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لا يجعل لله ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجعل في الطلب ولا يتلبس مع الله بباب .

هذا ما قاله بنفسه في شرح نكبته فلينظر العلماء والوزراء ماذا كان يحمله هؤلاء الرجال في سبيل اعلاء شان امتهم وبث افكارهم وازائهم وسياستهم وليعتبر كل المسلمين بالتاريخ فانه فيه لنفس العاقل اعتبار . وذكرى لقوم يعقلون .

برنامج الكتاب

صحيفة	
٢	فاتحة الكتاب
٣	الغرض من تاليف الكتاب
٥ ×	السبب فى اختطاط مدينة مراكش وتاريخ بناءها
٦ ×	السبب في خروج اللمتونيين ونبذاً من اخبارهم
٧ ×	لمتونة عرب لا بربر
٨ —	سبب دخول لمتونة المغرب وتلثمهم
٩ —	سبب خروج لمتونة من الصحراء الى المغرب
١٠ —	اصل تسمية المرابطين
١٢ —	سبب استلاء يوسف بن تاشفين على المغرب
١٣ —	تخلي الامير ابى بكر عن حقوقه في المغرب
١٦ —	سبب تلقب ابن تاشفين بامير المومنين
١٧	كتابه لاهل عمالته فى ان يخاطبوه بامير المومنين
١٩	من اعتنى من الملوك ان يكون خطابه بضمير الغائب
٢٠	وفد الاندلس على ابن تاشفين لتكالب الطاغية عليهم
٢٣	جواب ابن عباد عن كتاب الطاغية
٢٥	ما اشار به خاصة ابن عباد عليه

صحيفة	
٢٦	كتاب الادفنش الى يوسف ابن تاشفين
٢٨	كتاب ابن عباد لابن تاشفين يستنصره
٢٩	كتاب ابن عباد لابن تاشفين من انشاء ابى بكر ابن الجد
٣٣	شرط ابن تاشفين على ابن عباد تخليه له عن الجزيرة
٣٣	قبول ابن عباد شرط ابن تاشفين
٣٥	رؤيا الطاغية الادفنش وما عبرت له به
٣٩	واقعة الزلاقة
٤١	مكر الطاغية بامير المسلمين
٤٣	كم قتل من النصارى فى واقعة الزلاقة
٤٤	عدد رؤوس النصارى التى اجتمعت بين يدي ابن عباد
٥٠	قبض ابن تاشفين على صاحب المرية وتسليمه الى ابن عباد
٥٦	عهد ابن تاشفين لولده علي بن يوسف
٥٨	التزام اليهود للاسلام . عمل بعض عمال البحرين معهم
٦١	اول من استخدم الاروام بالمغرب
٦٥	قدوم القاضي ابن رشد على الامير ابن يوسف
٧١	اشارة ابن رشد على الامير في تسوير مدينة مراكش

صحيفة	
٧١	سبب توجه ابن رشد لمدينة مراكش
٧١	كتاب ابن هود لامير المسلمين علي بن يوسف
٧٦	حرق اهل غرناطة الاحياء للغزالي ودعائه عليهم
٧٨	ادعاء ابن تومرت انه المهدي المنتظر
٧٩	اسماء العشرة الذين بايعوا المهدي اولا
٨٠	ما رتبه المهدي لاصحابه يعلمهم به التوحيد
٨١	كتاب ابن تومرت الى لمتونة
٨٣	حصار المهدي لمراكش
٨٤	نصيحة من اندلسي لابن تاشفين
٩٣	سياسة الحروب
٩٨	يوم منداس ووصف محاربة
١٠٢	حصار مراكش
١٠٤	احصائية لقتلى ذلك الحصار
١١٢	وفود اهل الاندلس لبيعة عبد المومن
١١٣	غزو عبد المومن لافريقيا واستلاؤه عليها
١١٤	احترام عبد المومن العلماء

A 80
2519 bis

كتاب

﴿ الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ﴾

تاليف

ذي الوزارتين محمد لسان الدين بن الخطيب

طبع على نفقة الفاضل السيد الحاج عبد الله بن الحسين الكاهية الجزائري المغربي السوسي والفاضل السيد ابراهيم بن محمد العيسي

وعني بتصحيحه شريكهما السيد البشير الفورتي

وقد جرى طبع هذا الكتاب على نسخة عتيقة جدا بخط بعض الائمة الاعلام من الاندلسيين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

طبع بمطبعة التقدم الاسلامية لصاحبها البشير الفورتي بنهج الغني عدد ٣٤ بتونس

صحيفة	
١١٤	اعتناؤه بالتعليم والتربية
١١٤	تنشيطه الناس بالمال على التعليم
١١٤	تصفية دائرته من الجهال وتعويضهم بالعلماء
١١٥	قدومه الى المهدية وما اجتازه من البلدان حتى وصلها
١١٥	عدد جنوده
١١٧	طرده للصنهاجيين من المهدية واستيلاؤه على كل اقاليم افريقيا
١١٨	رجوعه الى المغرب ثم الاندلس
١١٨	واقعة الارك
١٢١	الخليفة ابو يعقوب المنصور
١٢٢	ابو عبد الله الناصر . يوسف المستنصر
١٢٣	ابو مالك عبد الواحد . محمد العادل . المامون
١٢٥	يحي بن الناصر . الرشيد بن المامون
١٢٦	ابو الحسن علي . عمر المرضى
١٢٧	ابو دبوس
١٢٩	ابو يوسف يعقوب

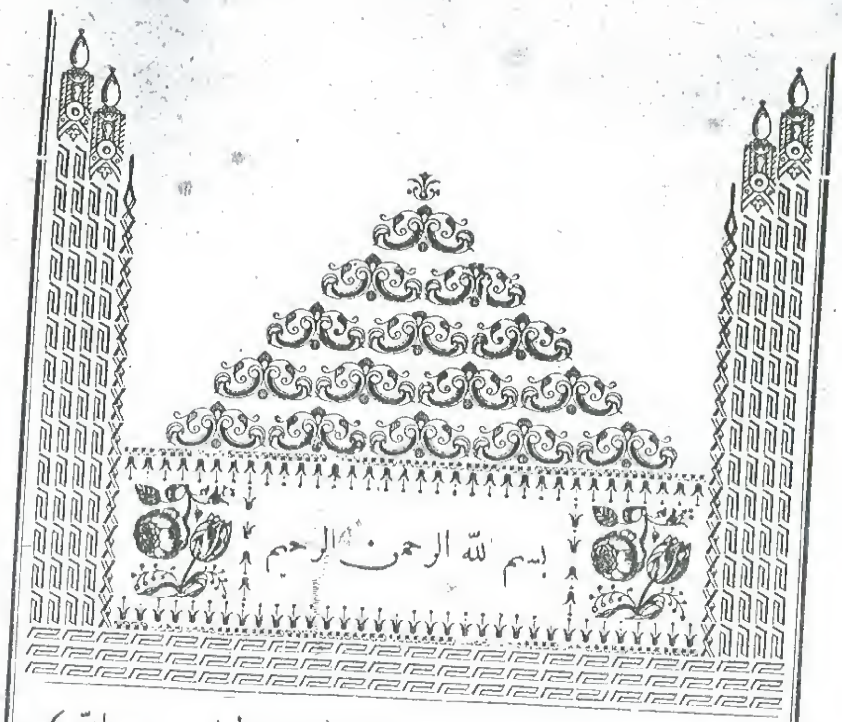

﴿ قال الشيخ الاديب البارع لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله ﴾

الحمد لله الذي اخرج الامور على مشيئته وتقديره * الفاتح لمن استغنى به وتوكل عليه ابواب تيسيره * والصلاة والسلام على محمد رسوله الكريم بين عباده ويسره معادن الخلق المبعوث لايضاح الحق وتقريره * والرضى عن اله واصحابه الذين اووه ونصروه وقاموا [illegible] وجاهدوا انفسهم النفيسة في حسم سبب الشرك [illegible] والدعاء لهذا المقام العلي المحمدي الناصري السلطاني المجاهد [illegible] بصالح تدبيره * بصلة النصر الذي

يصحبه في حال مقامه ومسيره ﴿ اما بعد ﴾ فانه لما حدث لهذا العهد بحضرة مراكش ما وقع من الحصار والتناوش والهيج والتهارش وتحدث الناس بالايام وحوادثها واشفقوا مما يتوقعوا من خطوبها وكوارهها اذ الملة والحمد لله واحدة والنفوس لشفقة الايمان غير جاهدة فالمسلمون حيث ما كانوا اخوة لا سيما من بهذه الجزيرة وبتلك العدوة فالقلوب بتوفيق الله غير متنافرة والعزائم بحول الله تعلى متعاضدة ومتظافرة والوجوه مصروفة الى جهاد الامم الكافرة والله تعلى يطيل الاسلام ببقاء مولانا الامام الخليفة الاعظم والملجا الاعصم حامل الكل وكافل الكل ويوزع الجميع شكر نعمائه وينصره في ارضه بملائكة سمائه بفضله وكرمه . فجمعت في هذا الموضوع نبذا من عيون اخبارها وتعدد الكرة في حصارها الى غير ذلك مما كان فيه من الاحداث الكبار والوقائع ذات الاعتبار من نزول سكانها واختلاط بقعتها ومكانها وابتداء تسويرها وبنيانها وذكر الباعث لاتخاذها مقرا لسلطانها واذكر مانشا في الدولتين دولة المرابطين اللمتونية ودولة الموحدين المومنة من حروب ومقابلة ولقاء ومنازلة مع ما يندرج في اثناء ذلك من التنبيه على الوقائع الشهيرة الكائنة بهذه الجزيرة وما حدث في خلالها ببلاد العدوة من الكونين

وحرس الديار واستفتاح المدائن وحصر من حصر ونصر من نصر
جمع الله الجميع في مستقر رحمته وسلك بنا السبيل الى جنته بكرمه
ومنته واقتصرت في ذلك كله على القليل خوفا من الاكثار واتقيته
من عدة من الاسفار مجموعة من دواوين العلماء الكبار ووضعت كل
نازلة في زمانها مندرجة في اسم سلطانها وسقت خبر ملوكها احسن
مساق على انتظام من القول واتساق واقتصرت في الدولة السنية
اليعقوبية والمرينية على التواريخ دون الاخبار جنوحا للايجاز وميلا
للاختصار اذ لا يفي هذا المختصر كل الاستيفاء باخبار وجملة الخلفاء
على اني لم اخله من قطع الاشعار ونكت الرسائل القصار وتضمين
مسائل نادرة يتعجب من وقوعها وموعظة يعتبر بمسموعها واوصاف
كائنة تصرح بخبر تابعها ومتبوعها فيتصور للانسان الحروب
ومكائدها ومن لم يشاهدها بنفسه فكانه يشاهد بالحدس اذا نظر
بفطنته في اخبار الناس واطلع منها على وصف الحروب والمراس
قام له ذلك مقام المشاهدة والميلان وتمثلت له الاحداث مصورة
بافصح البيان فزيد لمعرفة ذلك حنكة وتجريبا ويكسبه تخريجا وتدريبا
وتقل مبالاته بالامور ويقل اعتباره الامور المهولة ويقف على
تصريف الايام من الصعوبة الى السهولة ولولا التاريخ لضاعت

مساعي اهل السياسة الفاضلة ولم تكن المدائح بينهم وبين المدام
وهي الفاصلة وجهات الدول ومات ذكر الاول وفي ضمن ذلك
معتبر وموعظة ومزدجر يفيد قاريه حكمة والهاما وقرطس من فن
الاراء المسددة منها * لهذا حين الابتداء بما اشرت اليه من الانباء
ولما بلغ الى هذا المقدار جرمه وجب ان يوضع اسمه ﴿ فسميته ﴾
كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية والى الله تعالى ابتهل
ان يمنح الرشد وينسي الامل والقصد انه مجيب السؤال كفيل
بصلاح الاحوال فسبحانه لا اله الا هو الكبير المتعال ذو الجلال

﴿ ذكر السبب في اختطاط مدينة مراكش وبنيانها ﴾

﴿ وارتياد موضعها ومكانها حرسها الله بمنه ﴾

سبب ذلك على ما نقله جماعة من علماء التاريخ ان الامير ابا بكر ابن
عمر ابن ابراهيم بن تورقيت اللمتوني لما خرج من الصحراء
باللمتونيين واحتلوا باغمات وريكة وكثر الخلق بها وضيقوا على اهلها
وكانوا على حال صعبة شكى اليه اشياخ وريكة وهيلانة الى الامير
ابي بكر بن عمر ما يلحقهم في ذلك من العنا والمشقة وانهوه اليه المرة
بعد المرة الى ان قال لهم عينوا لنا موضعا نبني فيه مدينة ان شاء الله
فاجتمعوا على ان يكون بناؤها بين بلاد هيلانة وبين هزميرة فعرفوا

بذلك الامير ابا بكر ابن عمر وقالوا له قد نظرنا لك ايها الامير موضعا صحراء رحب الساحة واسع الفناء يليق بمقصدك وقالوا يكون نفيس جنانها وبلاد دكالة فدانها وزمام جبل درنة بيد اميرها فعند ذلك ركب الملك ابو بكر ومعه قومه اللمتونون واشياخ المصامدة ووجوه الناس وصاروا معه الى محصر مراكش وهو خلاء لا انيس به الا الغزلان والنعام ولا ينبت الا السدر والحنظل وكان ذلك سنة اثنين واربعماية فانتقل الى تلك الرحبة فوجدوا في محصنها من المسرح الخصيب للجمال والدواب ما غبطهم بها وشرع الناس في بناء الدور من غير تسوير عليها فبينما الامير ابو بكر بن عمر قد نزل بها واخذ في بناء الديار اذ وفد عليه رسول من قبيلة لمتونة بالصحراء يعلمونه ان جدالة غارت عليهم وكانت بينهم فتنة دايمة فاستخلف ابن عمه يوسف ابن تاشفين على المغرب ودخل الى الصحراء لاصراخهم ولاخذ ثارهم من عدوهم

ذكر السبب في خروج اللمتونيين ونبذا من اخبارهم المتقدمين

هؤلاء اللمتونيون ينتمون الى لمتونة وهم اولاد لمث ولمت وجدالة ولمطة ينتسبون الى صنهاجة وهم طواغن في الصحراء رحالة لا يطمئن

بهم منزل وليس لهم مدينة يأوون اليها ومداخلهم في الصحراء مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام وهم على دين الاسلام واتباع السنة وهم يجاهدون السودان (قال) ابو عبد الله ابن يحي الزهري كان اهل بلاد السودان الذين حاضرتهم مدينة غانة منشربين فيها سلف من الدهر بدين النصرانية الى سنة تسع وستين واربعماية فاسلم اهلها وحسن اسلامهم وذلك عند خروج الامير ابي يحي ابن الامير ابي بكر بن عمر اللمتوني وليس بين لمتونة وبين البربر نسب الا الرحم وصنهاجة يرفعون انسابهم الى حمير وانهم خرجوا الى اليمن وارتحلوا الى الصحراء وطنهم بالمغرب وسبب ذلك ان احد الملوك من التبابعة لم يكن فيمن تقدمه من ملوك قومه مثله ولم يبلغ احد منهم فضله وعزة ملكه وبعد غزوه ونكاية عدوه وقهر العرب والعجم مبلغه فانسي جميع الامم ممن كان قبله وكان قد اخبره بعض الاحبار بحوادث الايام وبالكتب المنزلة من الله على رسوله عليه الصلاة والسلام وان الله يبعث رسولا هو خاتم الانبياء ويرسله الى جميع الامم فتامن به وصدق مما ياتي به وقال فيه شهدت على احمد انه رسول الله ونظمها في ابيات من الشعر

شهدت على احمد انه * رسول الله بارئ النسم

في ابيات كثيرة ثم سار الى اليمن ودعى اهل مملكته فلم يجبه الى ذلك
الا طائفة من حمير ولما غلب اهل الكفر على اهل الايمان فكان كل
من امن به وتبعه بين قتيل وطريد ومطلوب وشريد فعند ذلك
تلثموا الفعل نسابهم في ذلك الزمان وفروا بانفسهم وتفرقوا في
الاقطار اياديَ سبا فكان سبب خروج منتاب الملثمين كما ذكر وكانوا
اول من تلثم ثم انتقلوا من قطر الى قطر ومن مكان الى مكان حتى
صاروا بالمغرب الاقصى ببلاد البربر فاحتملوا به واستوطنوه وصار
اللثام زيهم الذي اكرمهم الله به ونجاهم لاجله من عدوهم فاستحسنوه
ولازموه وصار زيا لهم بل لاعقابهم لا يفارقونه الى هذا العهد وانما
تبربرت السنتهم لمجاورتهم البربر وكونهم معهم ولمصاهرتهم اياهم
والموجب لخروجهم من الصحراء الى وطن المغرب ان احد بني
جدالة كان قد توجه الى فريضة الحج واجتاز في ايابه على مدينة
القيروان وذلك سنة اربعين واربعماية فحضر بها مجلس الفقيه المدرس
ابي عمران الفسي فسأله عن قبيلته ووطنه فذكر له انه من الصحراء
من قبيلة جدالة احدى قبايل صنهاجة فقال له الفقيه ما مذهبكم فقال له
ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب لاننا في الصحراء
منقطعين لا يصل الينا الا بعض التجار جهال حرفتهم الاشتغال بالبيع

والشراء لا علم عندهم وفينا اقوام يحرصون في تعليم القرءان وطلب
العلم ويرغبون في التفقه في الدين لو وجدوا الى ذلك سبيلا فعسى
يا سيدنا ان تنظر الينا من طلبتك من يتوجه معنا الى بلادنا ليعلمنا
ديننا فقال له الفقيه سانظر لك في ذلك ان شاء الله تعالى فعرض الفقيه
الامر على الطلبة فلم يوافقه احد لبعد المشقة والانقطاع في الصحراء
فدله الفقيه على رجل من فقهاء المغرب الاقصى مستوطن بالسوس
يدعى بوجاج مشهور بالخير والعبادة كانت بينهما قراءة ومعرفة
فخاطبه في القضية واكد عليه في المشاركة فيها فلما وصل اليه يحي ابن
ابراهيم المذكور اجتمع به ودفع اليه كتابه فرحب به واكرمه
واختار له رجلا يعرف بعبد الله ابن ياسين الجزولي من طلبة الشيخ
المذكور وارسله معه ودخل الى الصحراء الى بلاد جدالة وهو
مع يحي ابن ابراهيم الاتوني كان قد دخل الاندلس في دولة ملوك
الطوائف اقام بها سبع سنين يلازم القراءة فحصل علما كثيرا ودعا
الى المغرب الاقصى فسار معه الى قبيلة جدالة ففرحوا واجتمعوا
عليه منهم نحو سبعين شيخا من فقهائهم واهل الخير منهم يعلمهم
ويفقههم في دينهم فانقادوا اليه انقيادا عظيما ووالوه برا وتكريما
ولازموه مدة طويلة واجتمع عليه منهم عدد وافر الى ان امر عبد

الله ابن ياسين قبائل جدالة يغزو لمتونة فحاربوهم حتى دخلوا في دعوة
عبد الله ابن ياسين وغزوا معه سائر قبايل الصحراء وحاربوهم وقوى
امر جدالة وزاد في ظهورهم وهم ممتثلون لامره منقادون لحكمه
وتوجه الى لمتونة فانقادوا له واطاعوه وكان اشد انقيادا اليه امير
لمتونة ابو زكرياء يحي بن عمر وكان الامير ابو زكرياء اذا تقدم بجيشه
قدم امامه الشيخ ابا محمد عبد الله بن ياسين والشيخ كان في الحقيقة
الامير وهو الذى كان يامر وينهى وكان يقول لهم انما انا معلم دينكم
وكان يلي لمتونة جبل فيه قبايل من البربر على غير دين الاسلام
فدعاهم الشيخ عبد الله بن ياسين الى الدين فامتنعوا عليه فاشار على
الامير ابي زكرياء بن عمر بغزوهم ففزاهم بلمتونة وكان حينئذ ازيد من
الف فارس فهزموهم وسبوهم وقسموا اموالهم وخمسوا سبيهم فقال
ارى خمس قسمة اللمتونيون في صحراهم وفقد منهم في هذه المعركة
كثير وعند ذلك سماهم الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين بالمرابطين
لما راى من شدة صبرهم وحسن بلائهم على المشركين قال ابو عبد الله
البكري وكان للمتونة في قتالهم شدة وباس ليس لغيرهم وبذلك ملكوا
الارض وكان قتالهم على البخت اكثر من الخيل وكان معظم قتالهم
مرتجلين يقفون على اقدامهم صفا بعد صف يكون بين الصف الاول

منهم القنا الطوال وكانوا يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم
فرار من زحوف ولما راى الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين استقامة
لمتونة واجتهادهم اراد ان يظهرهم ويملكهم بلاد المغرب فقال لهم انكم
صبرتم وانصرتم دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتحتم ما كان
امامكم وستفتحون ان شاء الله ما وراءكم فامرهم بالخروج من الصحراء
الى سجلماسة ودرعة واهلها يومئذ تحت طاعة امراء مغراوة من
زناتة واميرهم يومئذ مسعود بن وانود بن خزرون بن فلفول
الخزرجي وذلك بعد ما خاطبوهم فلم يجيبوهم على ما طلبوا منهم فغزاهم
في جيش كثير حتى غلبوا عليهم ودخلوا سجلماسة وملكوها وكانت
بها اناس كثيرة وكانت بينهم وبين مغراوة حروب كثيرة وبعد ذلك
توجه الامير ابو زكرياء يحي بن عمر مع امامه الشيخ ابو محمد عبد
الله بن ياسين بجيش كثيف من لمتونة ومسوفة ولمطة وهزرجة
وسار بهم الى بلاد درعة فتلاقوا هنالك مع جيش جدالة فقتل
الامير ابو زكرياء يحي ابن عمر وقتل معه بشر كثير ولما كان بعد
ذلك قدم الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين اقام الامير ابو بكر بن
عمر فبايعته لمتونة وسائر الملثمين واهل سجلماسة ودرعة وانصرف
الى بلاد المصامدة بقصد اغمات وطاعت له وريكة وهيلانة وهزميرة

وكان وصوله لاغمات سنة خمسين واربعمائة فتلقته اشياخ المصامدة واذعنوا له بالطاعة واحتل مدينة اغمات واستوطنها مع امامه عبد الله بن ياسين ثم انصرف الشيخ ابو عبد الله محمد بن ياسين الى بلاد تامسنا ليسكنهم ويحضهم على الطاعة فقتلته برابر غواطة ولما كان في سنة ستين واربعمائة استقامت الامارة للامير ابى بكر بن عمر وطاعت له البلاد ووجه عماله اليها واستوطن مدينة اغمات وتوالت عليه الوفود والجيوش من الصحراء فكثر الخلق وعظم الازدحام باغمات فشكوا اليه ما يجدونه من ذلك واشاروا عليه بالانتقال الى فحص مراكش فانتقل اليها حسبما تقدم قبل هذا وفي اثناء مقامه بلغه ما كان من ظهور جدالة على لمتونة فشرع في العودة الى الصحراء واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين

ذكر يوسف بن تاشفين رحمه الله

نسبه هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تورقيت ابن منصور ابن مصالة الحميري وفي ابراهيم يجتمع مع ابني عمه الاميرين اللذين كانا قبله ابى زكرياء وابى بكر بن عمر ابن ابراهيم بن تورقيت وكنيته ابو يعقوب بنو سير بن ابراهيم على ابو الطاهر تميم المعز ووزراؤه صهره سير ابن ابي بكر وكانت خلافته من اول ولايته

بالمغرب باستخلاف ابن عمه الامير ابى بكر بن عمر اياه وانصرافه الى الصحراء الى حين وفاته اربعا وثلاثين سنة وبالاندلس من يوم خلعه لعبد الله بن يلقين الى حين وفاته سبع وعشرين سنة ولما اخذ ابن عمه الامير ابو بكر بن عمر في الحركة فى الصحراء حسبما تقدم ذكره انفا وولاه المغرب مكانه على صورة النيابة عنه وقسم الجيش فترك له الثلث من لمتونة وانصرف بالثلثين معه داخلا الى الصحراء وذلك في سنة ثلاث وستين واربعمائة فلما قام بعد يوسف ابن تاشفين مدبرا للامور قائما بالملك واشتغل ببناء الحصن المسمى بحصن قصر الحجر بوجبة مراكش وحصله تحت سور وابواب وحصنه ولما كان في سنة اربع وستين واربعمائة قوي امره وعظمت شوكته فاشترى جملة من العبيد السودان وبعث الى الاندلس فاشترى منها جملة من العلوج فاركبهم وانتهى عنده منهم مائتان وخمسون فارسا شراء ماله ومن العبيد نحو الفين فاركبهم فرسانا فغلظ حجابه وعظم ملكه وافترض على اليهود في تلك السنة فريضة ثقيلة اجتمع له منها مال استعان به على ما كان بسبيله ولما كان في سنة خمس وستين واربعمائة وصل الامير ابي بكر بن عمر من الصحراء وعاد الى المغرب بعد اخذه بثار قومه واصلح من شانهم فنزل باغمات خارج المدينة

ونزلت محلته دائرة به والفى ابن عمه يوسف بن تاشفين قد استولى بالملك وطاعت له بلاد المغرب فعلم انه عـزم على الاستبداد بالملك وتسابق اكـثر اصحابه ممن وصل معه الى مراكش لرؤية بنيانها والسلام على يوسف ابن تاشفين اميرها وكان قد سمعوا عن ضخامته وجزيل كرامته واحسانه لاخوانه ومعارفه فاجتمع عنده من القادمين على كـثير من الخلق فوصى لهم على قدر منازلهم واعطاهم بمقدار مراتبهم وامر لهم بالكسوة الفاخرة والخيول المسومة والاموال الجمة والعبيد المتعددة ولما تشوف الامير ابو بكر بن عمر على احوال ابن عمه يوسف بن تاشفين وعلم حبه في الملك وانه قد استمال نفوس من معه باحسانه وانقطع رجاؤه من الملك طلب منه تعيين يوم لاجتماعهما فيه فخرج الامير يوسف ابن تاشفين في جنوده وعبيده وتلقاه في نصف الطريـق فكان اجـتماعهما ما بين اغمات ومراكش على تسعة اميال منها فسلم عليه راكبا على دابته ولم تكن تلك عادته قبل ثم ترجـلا وقعدا على برنس فسمى يومـا بحصر البرنس فهو يعرف بذلك الى هـذا العهد فتعجب الامير ابو بكـر بن عمر مما راى من ضخامة ملكه ووفور عساكره وترفية جنوده وتحدث معه ثم قال يا يوسف انت اخي وابن عمي ولم ار من يقوم بامر المغرب

غيرك ولا احق به منك وانا لا غناء لى عن الصحراء وما جئت الا لاسلم عليك ونسلم الامر اليك ونعود الى الصحراء مقر اخواننا ومحل سلطاننا فشكره يوسف ابن تاشفين على ذلك واثنى عليه وحضر اشيـاخ لمتونة واعيـان الدولة وامراء المصامدة والكتاب والشهود والخاصة والعامة واشهد على نفسه بالتخـلي له عن الامر بوطن المغرب وقام فودعه الامير يوسف بن تاشفين وعاد الامير ابو بكر الى موضع نزوله من اغمات ورجع يوسف بن تاشفين الى مراكش موضع ملكه ولما وصل اليها بعث اليه بهدية اهداهـا اليه كان معظم ما فيها خمسة وعشرين الف دينار من الذهب العين وسبعين فرسا منها خمسة وعشرون مجهزة بجهاز محلى بالذهب وسبعون سيفا منها عشرون محلات والخمسون غير محلى وعشرون زوجا من المهامز المحلات بالذهب ومائة وخمسون من البغال المتخيرة الذكور والاناث ومائة عمامة مقصورة واربعمائة من الشوشى ومائة غفـارة ومائتين من البرانيس منها بيض وكحل وحمر ومائة شقة من الكتان وغير ذلك مما يهدى للملوك وعشرون جارية من الابكار ومائة خادم وغير ذلك مما يطول ذكره من البقر والغنم والقمح والشعير وكتب اليه كتابا يعتذر فيه اليه ويرغبه في قبول الهدية ويقول له كل ذلك قليل

في حقك فطابت نفس الامير ابي بكر وقال خير كثير ولم يخرج
الملك من بيننا ولا زال عن ايدينا فتناول اخوانه من تلك الخيرات
وانصرف الى الصحراء فاقام بها ثلاثة اعوام والامير يوسف ابن
تاشفين يمده بالهداية والتحف الى ان قتله السودان المجاورون له
في الصحراء في بعض الحروب التي كانت بينهم وفي سنة ستة وستين
واربعمائة فتح الامير يوسف بن تاشفين مدينة مكناسة واستنزل
منها الخير الكثير من خزائن الزناتي وفي سنة سبعة وستين
واربعمائة فتح مدينة فاس وفي سنة ثمان وستين بعدها فتح مدينة
تلمسان وكان اميرها العباس بن يحيي الزناتي ويوسف بن تاشفين
كان يدعى بالامير فلما ضخمت مملكته واتسعت عمالته اجتمعت اليه
اشياخ قبيلته واعيان دولته وقالت له انت خليفة الله في ارضه وحقك
اكبر من ان تدعى بالامير بل تدعوك بامير المومنين فقال لهم حاشا الله
ان تتسمى بهذا الاسم انما يتسمى به خلفاء بني العباس لكونهم من
تلك السلالة الكريمة لانهم ملوك الحرمين مكة والمدينة وانا راجلهم
والقائم بدعوتهم فقالوا له لا بد من اسم تمتاز به وبعد ما اجاب الى
امير المومنين وناصر الدين نخطب له بذلك في المنابر وخوطب به من
المدوتين وامر كتابه ان يكتبوا في ذلك فكتبوا ونصوا فيه ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما من امير المؤمنين وناصر الدين يوسف بن تاشفين
الى الاشياخ والاعيان والكافة من اهل فلانة ادام الله كرامتهم
بتقواه ووفقهم لما يرضاه سلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته
(اما بعد) حمد الله اهل الحمد والشكر ميسر اليسر وواهب النصر
والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر وانا كتبناه اليكم
من حضرتنا العلية بمراكش حرسها الله في نصف محرم سنة ستة
وستين واربعمائة وانه لما من الله علينا بالفتح الجسيم واسبغ علينا من
النعمه الظاهرة والباطنة وهدانا وهداكم الى شريعة نبينا محمد المصطفى
الكريم صلى الله عليه افضل الصلاة واتم التسليم راينا ان نخصص
انفسنا بهذا الاسم لنمتاز به على سائر امراء القبائل وهو امير
المسلمين وناصر الدين فمن خطب الخطبة العلية السامية فليخطبها
بهذا الاسم ان شاء الله تعالى والله ولي المدل بمنه وكرمه والسلام
وكانت علامة الملك والعظمة لله. قال كاتب هذا وقد جرى في مدة
الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد ثامن الخلفاء من بني
امية الاندلس مثل هذا وذلك انه يسمى بامير المومنين الناصر لدين
الله وواقع هذين الاسمين على نفسه وقد مضت من خلافته ستة

عشر سنة وكان ذلك سنة ست وعشرين وثلاثمائة ونسخ بها ما كان يدعى اولا من اسم الامارة بعد ان سلك في ذلك مسلك ءابائه منذ استخلف الى هذه السنة قد كان لنمو فضله وتصرف الايام لمجاريه واطباق النفوس على تحليه وتعظيم صفاته واسماء ذكره وربما كان بعض اولي الفضل والتامل من الناس سموه بهذا الاسم قبل ان يلبسه دهره وخاطبه به كثير من خاصتهم في كتبهم و شعارهم فكثر ذلك عليه ووافاه من كل ثنية وجاءه من كل ناحية حتى اضطره الى حمله وحاجره بان يكون باخسا لنفسه في رفضه وهو قوي عليه مخالفة ءابائه باقتصارهم على سواه واستشهدوا عليه بما فهمه الله سليمان في الحكمة دون والده عليهما الصلاة والسلام فانفذ الكتاب بذلك الى عماله في جميع اقطار الاندلس واوصى باجراء هذين الاسمين على الالسنة في مخاطبته في الكتب عنه واليه والدعاء له بهما على منابر عماله واثباتهما في اعلامه ومطارده وطرازه ودنانيره ودراهمه ونفذ الامر بذلك وجرى العمل عليه الى ءاخر مدته . وصيره كلمة باقية في عقبه سلكوا سبيله في ذلك الى انقراض دولتهم والنسخة التي انفذ بذلك الى عماله باقطار الاندلس : بسم الله الرحمن الرحيم (اما بعد) فانا احق ممن استوفى حقه واجدر من استكمل

حظه وليس من كرامة الله ما البسه للذي فضلنا الله به واظهر اثرتنا فيه ورفع سلطاننا اليه ويسر على ايدينا ادراكه وسهل بدولتنا مرامه وللذي اشاد في الافاق من ذكرنا واعلا في البلاد من امرنا واعلا من رجاء العالمين بنا واعاد من انحرافهم الينا واستبشارهم بما اخلنا بدولتنا فالحمد لله ولي الانعام بنا واهل الفضل بما تفضل علينا به وقد رايتنا ان تكون الدعوة لنا يا امير المومنين وناصر الدين وخروج الكتاب عنا وورودة علينا بذلك اذ كل مدعو بهذا الاسم عيونا متغالة ودخل فيه ومتسم بما لا يستحقه منه علمنا ان التمادي على ذلك الواجب لنا من ذلك حق اضمناه واسم ثابت اسقطناه فامر الخطيب بموضعك ان يقول به واجر مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله والسلام. وبعد ذلك بسنة خرج ايضا عهده ونفد كتابه ان يكون الخطاب كله جوابا بالكناية عنه بالهناء التي هي كناية الغايب دون الكاف التي هي للمخاطب فرقا بينه وبين من دونه وان يلتزم ذلك اهل المملكة وان تخرج كتبه بالخبر عن مخاطبته تعظيما لقدره واكبارا لمحله فجرى الرسم بذلك قال كاتبه هذا ان تتبع هذا النوع يخرج منه عن الغرض المقصود من الاقتصار فاعود الى ما كنت بسبيله من التعريف باخبار الامير يوسف بن تاشفين وافتتح مدينة تلمسان

في سنة ثمان وستين واربعمائة وكان اميرها العباس بن محمد الزناتي
ولما كان في سنة سبعين واربعمائة شرع في تجديد العساكر ووفودها
وبعث الى الصحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح
الله عليه من ملك المغرب وطاعة اهله ويوكد عليهم في القدوم فوفد
اليه منهم جموع كثيرة ولاهم الاعمال وصرف اعيانهم في مهمات
الاشغال فاكتسبوا الاموال وملكوا رقاب الرجال وكثروا بكل
مكان وساعدهم الوقت والزمان وكثرت جموعهم ووفرت عساكرهم
وعظم ملك يوسف بن تاشفين وضم من جزولة ولمطة وقبايل زناته
ومصمودة جموعا كثيرة وسماهم بالحشم وضم طائفة اخرى من
اعلاجه واهل دخلته وحاشيته فصاروا جموعا كثيرة وسماهم الداخلين
فاجتمع له في الطائفتين ثلاثة الاف فارس وفي سنة اربع وسبعين
واربعمائة وفد عليه جماعة من الاندلس وشكوا اليه ما حل بهم من
اعدائهم فوعدهم بمرادهم واعانهم . كان ممن كتب اليه حين ذلك المتوكل
على الله ابن الافطس جرت بينه وبين ملك الجلالقة خطوب كثيرة
عال حال المسلمين بعمالته الى الضعف والاستيلاء على بلادهم وخاطبه
ملك الجلالقة بكتاب يرعد فيه ويبرق ويتشطط عليه في اداء وظيفته
من المال كل سنة فجاوبه بما نصه : وصل الينا من عظيم الروم كتاب

مدع في المقادير واحكام العزيز القدير يرعد ويبرق ويجمع تارة ثم
يفرق ويلدد بجنوده الوافرة واحواله المتظافرة ولو علم ان لله جنودا
اعز بهم كلمة الاسلام واظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام اعزة
على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون . بالتقوى يعرفون
وفي التوبة يتضرعون ولئن لمت من خلف الروم بارقة فباذن الله
وليعلم المومنين وليميز الله الخبيث من الطيب ويعلم المنافقين اما
تغيرك للمسلمين فيما وهي من احوالهم فبالذنوب المركوبة ولو اتفقت
كلمتنا مع سائرنا من الاملاك علمت اي اصاب اذقناك كما كانت
اباؤك تتجرعه فلم تزل تذيقها من الحمام ضروب الالآم شؤما تراه
وتسمعه واذا المال تتورعه وبالامس كانت قطيعة المنصور على
سلفك اهدى ابنته اليه مع الذخائر التي كانت تفد كل عام عليه واما
نحن ان قلت اعدادنا وعدم من المخلوقين استمدادنا فما بيننا وبينك
بحر نخوضه ولا صعب نروضه الا السيوف تشهد بجدها رقاب قومك
وجلاد تبصره في ليلك ويومك وبالله تعالى ولا لسكنه المستعين
نتقوى عليك ونستعين ليس لنا سوى الله مطلب ولا لنا الى غيره مهرب
وما تتربصون بنا الا احدى الحسنيين نصر عليكم فيالها من نعمة ومنة
او شهادة في سبيل الله فيالها من جنة وفي الله العوض مما به

هددت وفرج يفتر بما مددت ويقطع بك فيما اعددت ويرجع الخبر
الى الامير يوسف بن تاشفين وذلك انه لما وفد عليه جماعة من الاندلس
حسبما تقدم ذكره بعث الى الاندلس برسم اهل العدد وآلات فاشترى له
منها كثيرا وكان ذلك العام عام اقتناء العدد واتخاذ السلاح واقتناء الاجناد
واختيار الرجال فبلغ جيشه الى اثنى عشر الف فارس كلهم نخبة انجاد وجاز
الى الاندلس اربع مرات ﴿ الجواز الاول ﴾ سنة تسع وسبعين
واربعمائة وذلك ان اهل الاندلس لما بلغهم ما كان عليه من القوة
والاستعداد والحجة والجهاد وفد عليه جماعة من وجوهها فاخبروه
بحالها وبكلب العدو عليها وكان الطاغية ادفنش في سنة ثمان وسبعين
واربعمائة قد غلب على طليطلة واستولى على اعمالها وحازها لنفسه
وكثر لروعه على الاندلس واشتد الخوف وتطرق المعتمد على الله
ابن عباد ولما ملك ادفنش اعمال طليطلة وطمع في الاستيلاء على
الجزيرة كلها وهابت الملوك امره لكون طليطلة نقطة دائرتها خاطب
المعتمد على الله ابا القاسم بن عباد يطلب منه تسليم اعمال الى رسله
وعماله ينشط عليه في الطلب واظهر السرور في القلب فيما خاطبه به :
من الانبيطور ذي الملتين الملك المفضل الادفنش بن شانجة الى المعتمد
بالله سدد الله رايه وبصره مقاصد الرشاد سلام عليك من مشيد

شرفه العلا وثبت في المنى فاهتز اهتزاز الرمح بعامله والسيف بساعد
حامله وقد ابصرتم ما نزل بطليطلة واقطارها وما صار باهلها حين
حاصرها بما صار في هذه السنين فاسلمتم اخوانكم وعطلتم بالرعاية
زمانكم والحذر من ايقظ بالله قبل الوقوع في الحبالة ولولا عهد
سلف بيننا نحفظ ذمامه ونسعى بنور الوفاء امامه لنهض بنا نحوكم
ناهض العزم ورايده ووصل رسول العدو وارده لكن الانذار
يقطع الاعذار ولا يعجل الامر خوف الفوت فيما يرومه او خشي
الغلبة على من يسومه وقد حملنا على الرسالة اليك القرمط البرهانس
وعنده من التمريد الذي يلقي به امثالك والعقل الذي تدبر به بلادك
ورجالك فيما وجب استنابته فيما يدق ويجل وفيما يعلم لا فيما يحل
وانت عند ما تاتي به من ورائك والنظر بعد هذا من ورائك
والسلام عليك يسعى بينك وبين يديك . ولما وصل الكتاب الى المعتمد
ابن عباد جاوب عليه بخطه (وبعد) من الملك المنصور بفضل الله
المعتمد على الله محمد بن المعتمد بالله ابي عمر بن عباد الى الطاغية
الباغية ادفنش بن شانجة الذي لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذي
الملتين قطع الله بدعواه سلام على من اتبع الهدى ﴿ اما بعد ﴾ فانه
اول ما نبدأ به من دعواه انه ذو الملتين والمسلمون احق بهذا الاسم

لان الذي يملك من امصار البلاد وعظيم الاستعداد ومحيي المملكة
لا تبلغه قدرتكم ولا تعرفه ملتكم وانما كانت سنة سعد ايقظ منها
مناديكم واغفل عن النظر السديد فركبنا مركبا عجز نسخه الكيس
وعاطيناك دمعة كؤوس قلت في اثنائها ليس مباديك تعلم اما في العدد
والعديد والنظر السديد ولدينا من كمات الفرسان وحيل الانسان
وحماة الشجعان يوم يلتقي الجمعان رجال تدرعوا الصبر وكرهوا
الفقر تسيل نفوسهم على حد الشفار وتتعاهم الهمام في القفار يدبرون
رحى المنون بحركة العزايم ويشفون من خطب الجنون بخواتم
العزايم ولما تستجير ان تامر باسلام البلاد في ارجالك وانا التعجب من
استعجالك براي لم لم يحكم انجازه ولا حسن انتخابه واعجابك بسنع
وفتك فيه الاقدار واغتررت بنفسك اسوا اغترار قد اعدوا الك
ولقومك جلاد ازلية الاتفاق وشفارا حدادا شحذها الاصفاق وقد
ياتي المحبوب من المكروه والندم من عجلة الشهورة نبهت من غفلة
طال زمانها وايقظت من نومة عاد ايامها ومتى كانت لاسلافك
الاقدمين مع اسلافك الاكرمين يد صاعدة او رفدة مساعدة الا
ذل تعلم مقداره وتحقق ثاره والذي جرك على طلب ما لا تدركه
قوم كالحمر لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر

ظن العاقل تعقل والدول لا تنقل وكان بيننا وبينك من المسالمة ما
اوجب القعود على نصرتهم وتدبير امورهم ونسال الله سبحانه المغفرة
فيما اتيناه في انفسنا وفيهم من ترك الحزم واسلامهم لاعاديهم فيهم وفي
انفسنا من ترك الحزم والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك
بما اطارت من دونه وبالله نستعين عليك ولا تستبطي مسيرتنا اليك
والله ينصر دينه الكريم ولو كره الكافرون والسلام على من علم الحق
فاتبعه واجتنب الباطل وخدعه وان المعتمد على الله ابن عباد كان قد اشار
اليه خواصه بمصالحة الادفنش وعقد السلم معه على اداء مال معلوم
عن كل حول فنكل عن ادائه لضعف بلاده وجلاء اهلها عنها فافترض
على اهل اشبيلية فريضة افترض فيها اكثرهم وانجلا عاخرون فوصل اليه
رسول الادفنش ومعه اليهودي ابن شالب لقبض مال الجزية على
عادتهم في كل سنة ونزلوا خارج اشبيلية فوجه اليهم المعتمد ابن عباد
المال المعلوم مع بعض اشياخ اشبيلية منهم ابن زيدون وغيره فلما
وصلوا الى خبائه واخرجوا اليه المال والسبايك فقال لهم اليهودي
والله لا اخذت من هذا العبار ولا اخذت منه الا مشحرا ولا يوخذ
منه في هذا العام الا اجفان البلاد . وزاد في كلامه ونقص واساء
الادب المعتمد خبره فدعا بعبيده وبعض جنوده وامرهم باخروج

لقتل اليهودي واسر من كان معه من النصارى ففعل ما امر به من
ذلك فلما بلغ ذلك لادفنش اقسم بايمان مغلظة ان لا يرفع يده عنه وانه
يحشد من الروم عدد شعر راسه ويحصل بهم بحر الزقاق فكان
ذلك. وخرج الادفنش في جيش لا يحصى كثرة وافسد في الشرق
فسادا كبيرا وحرقه واجتاز عليه فاصاد حصن طريف فوقف على
شاطيء بحر الزقاق والموج يضرب ارساغ فرسه وخاطب الامير
يوسف ابن تاشفين بما نصه : من امير الملتين الادفنش بن برهذه الى
الامير يوسف بن تاشفين ﴿ اما بعد ﴾ فلا خفاء على ذي عينين انك
امير المسلمين بل الملة المسلمة كما انا امير الملة النصرانية ولم يخف عليك
ما عليه رؤساؤكم بالاندلس من التخاذل والتواكل والاهمال للرعية
والاخلاد الى الراحة وانا اسومهم الخسف فاخرب الديار واهتك
الاستار واقتل الشبان واؤسر الولدان ولا عذر لك في التخلف عن
نصرتهم ان امكنتك فرصة هذا وانتم تعتقدون ان الله تبارك وتعلى
فرض على كل واحد منكم بعشرة منا وان قتلاكم في الجنة وقتلانا في
النار ونحن نعتقد ان الله ظفرنا بكم واعاننا عليكم ولا تقدرون دفاعا
ولا تستطيعون امتناعا وبلغنا عنك وانك في الاحتفال عن نية
الاستقبال فلا يدرى اكان الجبن يفظي بك ام التكذيب بما انزل

عليك فان كنت لا تستطيع الجواز فابعث الي ما عندك من
المراكب نجوز اليك اناظرك في احب البقاع اليك فان غلبتني فذلك نعمة
جلبت اليك ونعمة شملت بين يديك وان غلبتك كانت لي اليد الطليا
واستكملت الامارة والله يتم الارادة . فامر امير المومنين يوسف بن
تاشفين ان يكتب اليه على ظهر كتابه جوابا للادفنش ما ترى : لا ما
تسمع ان شاء الله واردف الكتاب ببيت ابي الطيب المتنبي

ولا كتب الا المشرفية والقنا * ولا رسل الا الخميس العرمرم

وكان ابن عباد قبل هذا لما راى امره في ادبار وان الادفنش قد
عزم عليه وشاور خاصته ووجوه دولته في شان استدعاء يوسف بن
تاشفين فاشاروا عليه بمدارات الادفنش والناس معه هدنة وعقد
السلم على ما يذهب اليه من الشروط وتكيف ما امكن وان ذلك
اولى من تجويز المرابطين . ثم انه خلا بعد ذلك بابنه وولي عهده
الرشيد ابي الحسن عبيدالله وقال له انا في هذه الاندلس غريب بين بحر
مظلم وعدو مجرم وليس لنا ولي ولا ناصر الا الله تعلى وان اخواننا
وجيراننا ملوك الاندلس ليس فيهم نفع ولا يرجى منهم نصرة
ولا حيلة ان نزل بنا مصاب او نالنا عدو ثقيل وهو اللعين ادفنش
قد اخذ طليطلة من ابن ذي النون بعد سبع سنين وعادت دار كفر

وها هو قد رفع راسه الينا وان نزل علينا بطليطلة ما يرفع عنا حتى
ياخذ اشبيلية ونرى من الراى ان نبعث الى هذه الصحراء وملك
العدوة نستدعيه للجواز ليدفع عنا هذا الكلب اللعين اذ لا قدرة لنا على
ذلك بانفسنا فقد تلف لجاؤنا وتدبرت بل تبردت اجنادنا وابغضتنا العامة
والخاصة فقال له ابنه الرشيد يا ابت اتدخل علينا في اندلسنا من يسلبنا
ملكنا ويبدد شملنا فقال اي ابني والله لا يسمع عني ابدا اني اعدلت
الاندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى فتقوم علي اللعنة في منابر
الاسلام مثل ما قامت على غيري في حرز اللجا والله عندي خير من
حرز الخنازير فقال له يا ابتي افعل ما امرك الله فقال ان الله لم يلهمني
لهذا الا وفيه خير وصلاح لنا ولكافة المسلمين فاستفتح بخطبته
وجعل يستصرخه ويستدعيه بمكاتبات من انشائه وانشاء كتابه من
خطه ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما الى حضرة الامام امير المومنين وناصر
الدين محيي دعوة الخليفة الامام امير المومنين ابو يعقوب يوسف
ابن تاشفين القائم بعظيم اكبارها الشاكر لاجلالها المعظم لما عظم
الله من كريم مقدارها اللائذ بحرامها المنقطع الى سمو مجدها
المستجير بالله وبطولها محمد بن عباد سلام كريم يخص الحضرة

المعظمة السامية ورحمة الله تعلى وبركاته كتب المنقطع الى كريم
سلطانها من اشبيلية في غرة جمادى الاولى سنة تسع وسبعين
واربعمائة وانه ايد الله امير المسلمين ونصر به الدين فانا نحن العرب
في هذا الاندلس قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنا وتغيرت انسابنا
بقطع المادة عنا من صنيعتنا فصرنا فيها شعوبا لا قبائل واشتاتا
لا قرابة ولا عشائر فقل نصرنا وكثر شامتنا وتولى علينا هذا
العدو المجرم اللعين ادفنش واناخ علينا بطليطلة ووطئها بقدمه واسر
المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ونحن اهل هذه الاندلس
ليس لاحد منا طاقة على نصرة جاره ولا اخيه ولو شاءوا لفعلوا الا ان
الهواء والماء منعهم عن ذلك وقد ساءت الاحوال وانقطعت الامال
وانت ايدك الله سيد حمير ومليكها الاكبر واميرها وزعيمها نزعت
بهمتي اليك واستنصرت بالله ثم بك واستغثت بحرمكم لتجوز لجهاد
هذا العدو الكافر وتحيون شريعة الاسلام وتدينون على دين محمد
عليه الصلاة والسلام ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم والاجر
العظيم والسلام الكريم على حضرتكم السامية ورحمة الله تعلى وبركاته
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٭ ومما كتب في استدعائه
من انشاء طلبته وتنسب لابي بكر بن الجد الى الملك المؤيد بفضل

الله امير المسلمين وناصر الدين وزعيم المرابطين ابى يعقوب يوسف
بن تاشفين نور الله به الافاق وجعل بهائه الجيوش و لرفاق من الملك
المفضل بنعمة الله المستجير برحمة الله المعتمد على الله محمد بن عباد
سلام على حضرة تجدد ايمانها واشتهر امانها وبعد) فان الله سبحانه ايد
دينه بالاتفاق والائتلاف وحرم مسالك الشتات ودواعى الاختلاف
وامن على عباده بامن جديد وقوم اولي باس شديد وتطول علينا
بمعلوم جدك وقد جعلك رحمة تحي عينها ربوع الشريعة وخلفك
سلما الى الخير وذريعة وقد طرا على الاسلام حادث انسى كل هم
وهمت النكبات بوقوعه وذلك عدوا طلبته في البلاد شتات وبين
اختلاف سببه من لم تطروا له في الدعوات غير تقوى وتضعف
وتتقي وتختلف والناخ مطمئنين من عاقات الزمان وتناسخ الامان
وقد جاءنا افراقه واوعاه ووعده وايياده لسلم له المنابر والصوامع
والمحاريب والجوامع ليقيم بها الصلبان ويستنيب بها الرهبان ومما
اطمعه استمالته ايانا بالدعوة واملاؤها في الرحب والسعة الله استجير
لما ابطنه واعجاما علينا وطنه وقد وطن الله لك ملكا شكره الله عليه
جهادك وقيامك بحقه واجتهادك ولديك وليت بالخير باعث يبعثك
لى نصر مناره واقتباس انواره وعندك من جنود الله من يشتري

الجنة بحيانه ويحضر الحرب بثالاته فان شئت الدنيا فنطوف دانية
وجنة عالية وعيون عانية والان ان اردت الاخرى بجهاد لا يفتر
وجلاد يحيز الغلاصم ويستر هذه الجنة ذخر هذه الجنة ذخرها الله
اضلال سيوفكم واجال معروفكم نستعين بالله وملائكته وبكم على
الكافرين كما قال سبحانه وهو اكرم القائلين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
ويجزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين والله يجمعنا على
كلمة التوحيد ننصرها ونعمة الاسلام نشكرها ورحمة الله نتحدث
بها وننشرها والسلام الموصل الجزيل على امير المسلمين وناصر
الدين ورحمة الله ﴿ ولما ﴾ ترادف خطابه عليه ووقف على مقتضى
ما كتب به وعما ذكر من معناه اطلع عليه اخوته وبنو عمه وقال
لهم ما ترون فيما كتب به هذا لرجل وكان هؤلاء المرابطون قوما
صحراويون ولم يعاينوا قط نصرانيا ولا شهدوا حربا الا ما يكون
بينهم وكانوا يريدون ان يغزوا ويدخلوا الاندلس فلما استشارهم
امامهم قالوا له ايد الله امير المسلمين اما ما ذكرتم من استغاثة هذا
الرجل بكم فواجب على كل مسلم يومن بالله ورسوله اغاثة اخيه
المسلم واحرى فانه لا يحل لنا ان يكون جارنا وبيننا وبينه سافية ماء
فسقوه طعمة للعدو وهذا مما ترونه والامر لله ولامير المسلمين

وبعد ذلك خلا باحد كتابه وهو عبد الرحمن بن اسبط وكان اندلسيا من اهل البرية واستشاره فقال له ان الامر لله تعلى ولكم فقال له ومع هذا فقل ما عندك فقال له واجب على كل مسلم اغاثة اخيه المسلم والانتصار له غير ان لى كلاما انهيه اليكم فقال له قل ما عندك يا عبد الرحمن فقال له ايد الله الامير تعمرون الثمن وسبعة اثمان يعمرها النصارى وهي ضيقة عرجة حريجة سجن لمن دخلها لا يخرج منها الا تحت حكم صاحبها وان انت جزت اليها وحصلت فيها ما يكون لك في نفسك شيء وهو الرجل الذي استدعاك ما بينك وبينه عتاب قديم ولا صداقة متصلة ويتقى اذا قضى الله الغرض من العدو امسكك بها والحال كما ترونه والنظر اليكم فاكتبوا اليه فانه لا يمكنك الجواز الا ان يعطيك الجزيرة الخضراء فتجعل فيها اثقالك واجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت فقال له صدقت يا عبد الرحمن لقد نبهتني على شيء لم يخطر ببالي اكتب له بذلك فكتب له ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما من امير المؤمنين وناصر الدين معين دعوة امير المؤمنين الى الامير الاكرم المؤيد بنصره لله تعلى المعتمد على الله ابى القاسم محمد بن عباد ادام الله كرامته بتقواه ووفقه لما

يرضاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (اما بعد) فانه وصل خطابكم الكريم فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من كربتك وما كان من قلة حماية جيرانك فنحن يمين لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك وواجب علينا ذلك من الشرع وكتاب الله تعلى وانه لا يمكننا الجواز الا ان تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا اليك على ايدينا متى شئنا فان رايت ذلك فاشهد على نفسك بذلك وابعث الينا بعقودها ونحن في اثر خطابك ان شاء الله . ولما ورد هذا الخطاب على ابن عباد قال له ابنه الرشيد يا ابت الا تنظر الى ما طلب فقال له يا بني قليل في حق نصرة المسلمين فجمع ابن عباد القاضي والفقهاء وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء ليوسف بن تاشفين وتسليمها له بمحضر ذلك الجمع وبعث بها اليه وكان ابنه الراضي يزيد اذ ذاك صاحب الجزيرة فامر باخلائها والانتقال عنها ولما وصله العقد والخطاب بالتاكيد في الجواز استنفر جميع حشوده وبعث في البلاد الى جنوده ورحل الى سبتة فاقام بها واخذ في تجويز عساكره حتى لم يبق منهم احد وجاز في اثرهم ودخل الجزيرة ولما بلغ ابن عباد جوازه استعد للضيافة الحافلة والهدايا وقد كان يجمعها ويحتفل فيها لما احتل يوسف بن تاشفين بالجزيرة شرع في بناء

اسوارها وما تشعث من ابراجها وحفر الحفير عليها وشحنها بالاطعمة والاسلحة ورتب فيها عسكرا نقيا من نخبة رجاله واسكنهم بها ورحل نحو اشبيلية فتلقاه ابن عباد على مرحلة من الجزيرة فسلم عليه وهمّ ابن عباد بتقبيل يديه فبادر لمعانقته وساله عن حاله وانبسط معه في الحديث وهناه ابن عباد بالسلامة ولحقت ضيافة ابن عباد فعمت جميع المحلة على حال كبرها وركب ابن عباد فدار بالمحلة ونظر الى العساكر فراى عسكرا نقيا ومنظرا بهيا فلم يشك ان ذلك الجمع لا يخلو عن نصرة وان اللعين ادفنش لا محالة مهزوم فكان كما كان فحمد الله واثنى عليه وسجد لله سجدة عفر وجهه في التراب تواضعا لله سبحانه ونهضت العساكر نحو اشبيلية والهدايا المستظرفة والضيافة الحافلة والعلوفات الرغدة حتى وصلوا الى اشبيلية فقاموا بها ثلاثة ايام وارتحلوا الى بطليوس وقد كان يوسف بن تاشفين كتب الى سائر الاندلس يستنفرهم الى الجهاد ويستدعيهم اللحاق بمحلته فلحق بها الامير المظفر ابو محمد عبد الله بن بلقين من باديس صاحب غرناطة وعماله واخوه المستنصر تميم صاحب مالقة وراجع صاحب المرية المعتصم بالله ابو يحيى محمد بن معز بن صمادح يعتذر بسبب العدو الملاصق له بحصن لبيط من عمل الورقة ولحق بمن وصل من

الرؤساء والاجناد وخف من المطوعين للجهاد فلقيهم المتوكل الافطس على ثلاثة مراحل من بطليوس واحتفل لهم بالتضييف والعلف والقرى الواسع وقد كان بين يوسف ابن تاشفين امير المسلمين وبين عدوه مخاطبات منها ان يوسف بن تاشفين لما دنا من بطليوس على مقربة من فحص الزلاقة قدم اليها كتابا على مقتضى السنة يعرض عليه الدخول في الاسلام او الجزية او القتال من فصوله : وقد بلغنا يا ادفنش انك نحوت الى الاجتماع بك وتمنيت ان تكون لك فلك تعبر البحر علينا الينا فقد اجزناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة ادعائك وما دعاء الكافرين الا في ضلال. فلما وصل الكتاب الى ادفنش وسمع ما كتب به اليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه وكفره ايثل هذه المخاطبة يخاطبني وانا وابى نغرم الجزية لاهل ملته منذ ثمانين سنة واقسم ان لا يبرح من مكانه الذي نزل فيه وقال يزحف الي فاني اكره ان القاه قرب مدينة تعصمه وتمنعني منه فلا اشفى نفسي بقتله ولا ابلغ املي فيه بيني وبينه هذا البسيط المتسع. فاعلم السفير امير المسلمين بانتحائه وما اظهر من طغيانه وكبريائه وقد كان قبل خروجه الى هذا اللقاء وهو بطليطلة راى رؤيا وذلك انه كان يرى في النوم في بعض الليالي كانه راكب

على فيل والى جانبه طبل معلق وهو يضربه فاستيقظ فزعا مرعوبا
مذعورا فلما اصبح بعث الى النصارى واحبار اليهود وقال لهم انى
رايت رؤيا افزعتنى وذكر لهم نصها وقال لهم وما هالنى وافزعتنى الا
ان الفيل ليس فى بلادنا ولا عاينناه قط ومن اين لنا به فانظروا في
تاويل هذه الرؤيا فسروها لي فقد افزعتنى وما عاينت منها فقالوا له
القسيسون والاحبار ايها الملك تاول رؤيتك على انك تغزم جميع
المسلمين وتغنم اموالهم وتسبي محلتهم وتاخذ بلادهم وترجع الى وطنك
عزيزا ظافرا واما الفيل الذي كنت تركبه فهو هذا الملك القادم
صاحب البر الكبير المشترط للقائك تركبه بالرغم وتذلله بمثل ذلك
الفيل لعظمه ولكون الفيل من الصحراء وهذا من الصحراء يعنون امير
المسلمين يوسف بن تاشفين مثل لك به فقال نفسي تحدثني وهي صادقة
انكم فى تفسيركم لمنامي على باطل وما تعرفون شيئا ثم رد راسه الى
جماعة المسلمين ممن حضر مجلسه من بقايا الساكنين ببلاده فقال لهم
اتعلمون هنا احدا من العلماء المسلمين فقالوا له نعم هنا رجل من فضلاء
المسلمين وعلمائهم يعرف بمحمد بن عيسى المغامى يقرا في مسجده فقال
لهم انطلقوا اليه واتونى به فانطلقوا اليه وقالوا له ان الملك يدعوك فقال
لهم وما حاجته بى فقالوا له انه راى رؤيا افزعته وقد فسرها له اسقفة

النصارى واحبار اليهود فلم يرض بقولهم ولا صدقهم فقال لهم والله
لا ءتى كافرا ابدا فقالوا له اتق الله على نفسك من سطوته فقال لهم
ان الله وليي وحافظي والخير والشر بيده فطمعوا به ليصل اليه فابى
ورجعوا الى ادفنش فقال لهم واين الرجل الذى توجهتم اليه فحسنوا
له اللفظ واعتذروا عنه وقالوا له ايها الملك ان الرجل عابد ورع ونحن
المسلمون عبادنا ما يرون فى دينهم ان يغشوا ابواب الملوك فان راى
الملك ان يلقي الينا من الكلام ما تاتيه من عنده بجواب شاف فعل
فقال كنت ارى كذا وكذا وقص عليهم رؤياه فانطلقوا الى الفقيه ابي
عبد الله المغامى فوجدوه يقرا بمسجده داخل طليطلة ومن بقى بها من
المسلمين فقصوا عليه الرؤيا وقالوا له دبرها في نفسك حتى تلقي الينا
نصها نفسرها له فقال لهم الامر فيها قريب اعلموا انه سيهزمه
المسلمون هزيمة قبيحة يخرج منها مفلولا في نفر يسير من اصحابه
والدليل على ذلك من كتاب الله العزيز في قوله تعالى (الم تر كيف
فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم
طيرا ابابيل ترميهم بحجارة) عنى بها الباري جل وعز ابرهة الحبشي
واما الطبل الذى كان يضربه فمن قوله تعالى (فاذا نقر في الناقور فذلك
يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) فرجعوا اليه واعلموه بنص

ما عبر لهم فقطب وجهه وقال ودين المسيح لئن كذب لامثلن به
فبلغ الخبر للفقيه المغامى فقال والله ما يقدر على ذرة الا باذن الله
وقضائه وانا واثق بالله ربي ولا قوة الا بالله العلي العظيم وان
ادفنش لعنه الله نسى تلك الرؤيا واخذ في جمعه
وحشده وتاهب للقاء المسلمين واحتفل في الاستعداد وخرج
ومعه ثمانون الف فارس منها اربعون الفا لابسين الدروع وكان
بها من فرسان المسلمين اربعة وعشرون الف فارس ما بين
دراع وحاسر ومن المرابطين واهل المغرب مايتيف على اربعة وعشرين
الفا . ولما احتلت عساكر المسلمين بظاهر بطليوس واحتل الادفنش
بفحص الزلاقة على اربعة فراسخ من بطليوس قدم يوسف بن
تاشفين بين يديه على مقتضى السنة والسلامة كتابا يعرض عليه فيه
الدخول فى الاسلام او اداء الجزية او الحرب وقال بلغنا يا ادفنش
انك دعوت الاجتماع بك وتمنيت ان تكون لك فلك تعبر البحر عليها
الينا فقد اجزناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى
عاقبة ادعائك وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما صدم امير المومنين
سمعه بما كتب اليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه وكفره وقال
بمثل هذه المخاطبة يخاطبني وانا وابي نغرم الجزية لاهل ملته منذ

ثمانين سنة والله لا نهضت من مكاني فابزحف الي في هذا الفحص
فانا اكره ان القاه قرب مدينة تعصمه او حصن يمنعني منه فلا اشف
نفسي بقتله ولا ابلغ املي فيه فبيني وبينه البسيط المتسع (كما تقدم في
نص هذا المكتوب) فاعلم السفير امير المسلمين بانتحائه وما ظهر من
طغيانه وكبريائه ثم كتب الى امير المسلمين مكرا منه يقول ان غدا يوم
الجمعة لانحب مقابلتكم فيه لانه عيدكم وبعده السبت يوم عيد اليهود
وهم كثير في محلتنا وبعده الاحد عيدنا فنحترم هذه الاعياد ويكون
اللقاء يوم الاثنين فقال امير المسلمين اتركوا اللعين وما احب فحدث
ابو محمد عبد العزيز ابن الامام احد خواص المعتمد ابن عباد قال كنت في
عسكره عند توجهه مع يوسف بن تاشفين الى لقاء ادفنش بن
فرلنده ملك قشتالة في غزوة الزلاقة وهي اول غزوة غزاها
المرابطون بالاندلس وكان الناس يرحلون برحيل امير المسلمين
يوسف بن تاشفين وينزلون بنزوله تقديما له ورعيا لمكانه من السر
وعظيم الملك ووفور العدد وجودة الراي وكمال العقل فسمعنا طبوله
تضرب وقيل امير المسلمين يتقدم الى العدو فامر ابن عباد منجمه
بتحقيق طالع الوقت والنظر فيه قال فوجده بحسب ما تقتضيه اصول
تلك الصناعة دالا على ان الدائرة تكون على المسلمين وان الظفر

والغلبة يكون للمشركين قال فاشفق المعتمد من ذلك وكره اعلام امير المسلمين به لنفاره من الاستدلال بالنجوم والتظاهر بها والعمل بها ولم يمكنه غير مساعدة الانتقال معه فبينما هو يحاول ذلك اذ خفقت الاصوات وهدات الضجة وجاء من اخبر ان امير المسلمين قد بدا له في الانتقال من مناخه فلما كان بعد ساعة من ذلك اليوم بعينه عادت الاصوات وضربت الطبول فامر ابن عباد منجمه باخذ طالع الوقت والنظر فيه فوجده اوفق طالع واسعد نصبة له وادلها على الظفر للمسلمين والدائرة على الكافرين حسبما جرى الامر عليه قال فتعجبت من ذلك ومن قوة سعد يوسف بن ناشفين وقال هذا من المصنوع لهم المعتنى بامرهم الملهمين الى رشدهم بالدين ليدبر لهم التوفيق ويخدمهم البخت وذلك كله بمشيئة الله تعالى وسابق علمه ونافذ حكمه وكتب اليه من منزله المذكور بهذه الابيات

غزو عليك مبارك * في طيه الفتح القريب
لله سيفك انه * سخط على دين الصليب
لابد من يوم يكون * له اخ يوم الغليب

فكانه نطق بالغيب فكانت الهزيمة على اللعين يوم الجمعة الثاني عشر

لرجب الفرد سنة تسع وتسعين واربعمائة فلما كان يوم الجمعة استعد اللعين للقاء المسلمين لياخذهم على حين غفلة غدرا منه وارتقى في ربوة مع جماعة من زعماء قومه ليبصر اعداد جيوشه فاعجبه ما راى من كثرتهم ولمعان دروعهم فقال لابن عمه غريسة هذا اليوم لنا فيه الغلبة على المسلمين فقال له غريسة ان كان سبق لك بذلك القضاء فقال انا الغالب سبق او لم يسبق فقال له ابن عمه انى لا احضر معك اليوم هذا اللقاء واعتزل بناسه وكانوا نحو الف فارس فعند ذلك تقدم بجيوشه قاصدا محلة المسلمين فاقبلت طلائع ابن عباد والروم في اذيالها والناس على طمانينة وقد كانوا اتفقوا ان يكون المعتمد ابن عباد في قلب المقدمة والمتوكل ابن الافطس في ميمنتها واهل الشرق في ميسرتها وسائر اهل الاندلس في الساقة والمرابطين واهل العدوة كماين متفرقة تخرج من كل جهة عند اللقاء فلما علم ابن عباد بقدوم الطاغية عليه بادر الركاب على غير تعبية ولا اهبة وغشيتهم خيل العدو كالسيل وعمتهم كقطع الليل وظنوا انها وهلة لا ترقع فوافق محلة ابن عباد في طريقه باهل اشبيلية وسائر عماله فوقعت بينهم حروب صعبة كانت الدائرة فيها على اهل اشبيلية استاثر الله فيها بارواح شهدت لها الرحمة وخطبتها الجنة وخرج ابن عباد منها بجراحه وابلى

في ذلك اليوم بلاء حسنا وانشد في ذلك اليوم شعرا قاله في اثناء الحرب يذكر ابنه زيد الدولة المعلى ابا هاشم

ابا هاشم هشمتني الشفار * فلله صبري لذاك الاوار

ذكرت شخيصك ما بينها * فلم ينثني حبسه للفرار

ثم العسكر من المسلمين لانفسهم وحملوا على ملة الادفنش حملة صادقة وقد كان امير المؤمنين يوسف بن تاشفين على حين غفلة لم يكن عنده علم بما وقع فكانت محلته بعيدة عن محلة ابن عباد حتى بعث اليه ابن عباد كاتبه ابن القصيرة فاخبره فركب واحدق به زعماء لمتونة وكبار صنهاجة وسائر عسكره قصد بهم محلة الطاغية فاقتحموها واضرموها نارا وضرب طبوله فاهتزت لها الارض وتجاوبت الافاق فارتاعت قلوبهم وتخلخلت افئدتهم وراوا النار تشعل في محلتهم واتاهم الصريخ بهلاك اموالهم واخيبتهم فسقط في ايديهم فالتووا اعنتهم ورجعوا قاصدين محلتهم فالتحمت الفئتان واختلط الملتان واشتدت الكرة وعظمت الهجمات والحرب تدور على اللمين وتطحن رؤوس رجاله ومشاهير ابطاله وتقذف بخيلهم عن يمينه وشماله وتداعى الاجناد والحشم والعبيد للنزال والترحيل على ظهور الخيل ودخول المعترك فامن الله المسلمين وقذف الرعب في قلوب المشركين وتحطوا ابن عسكر ابن

عباد وعسكر يوسف ابن تاشفين وفي اثناء ذلك تلحق بالطاغية ادفنش غلام اسود بيده خنجر يدعوه البرابر بالاطاس قطع جرز درعه وطعنه في فخذه مع بداد سرجه فكان ادفنش يقول بعد ذلك التحق بي غلام اسود فضربني في الفخذ بمنجل اراق دمي فتخيل له الاطاس انه منجل لكونه رءاه معوجا فمر امامه وسيوف المسلمين تتبعه حتى القوه الى ربوة اعتصموا بها لتعذر مرتقاها واحدقت بها الخيل فقال لهم امير المسلمين يوسف بن تاشفين الكلب اذا ان وهم لابد ان يعض وقد سلم الله المسلمين من معركته ولم يقتل منهم الا القليل فان هجمت على هؤلاء ابلوا بلاء عظيما ولكن اتركوهم ولاحظوا حالهم فلما جن الليل فروا واصبحوا يوم السبت فلم يوجد لهم اثر ثم اتى امير المسلمين عنانه فنزل ونزل الناس بنزوله وقد باء الله بصارمه تلك الشوكة واستاصل اولئك الجموع المشركة ولم يفلت منهم اكثر من اصحاب عويسة الذى اعتزل عن القتال وهم نحو اربعمائة افلتوا مع الطاغية وكانت هذه الغزوة التي اظهر الله فيها دين الاسلام ونصر حزبه ونفس عنه كربه ولم يكن في الاندلس غزوة اعظم منها قتل فيها من النصارى نحو ثلاثمائة الف قال الفقيه ابو يحيى بن اليسع ذكر جماعة ممن حضرها انه وجد فيها اقوام من

الروم عليهم دروع محصنة قطعت السيوف اوساطها مع الجثة قال وانتدب المسلمون في موضع المعركه الى قطع رؤوس النصارى فجمع منهم اعداد واكداس كالصوامع الحنفية ونظروا طول قناة كانت في المحلة فنصبت ورست الرؤوس حواليها فعطتها فامر الفقيه ابو مروان المذري وكان ممن شهد تلك الواقعة وممن له ملابسة بتلك الامور ان عدد الرؤوس التي جمعت بين يدى ابن عباد بلغت الى اربعة وعشرين الف راس . ولما فرغ الناس من هذا الفتح تناول ابن عباد ظفارة كاغد على عرض الاصبع وكتب فيها سطرين الى ابنه الرشيد وفقه الله : اعلم انه التقت جموع المسلمين بالطاغية اهفنش اللعين ففتح الله للمسلمين وهزم على ايديهم المشركين والحمد لله رب العالمين فاعلم بذلك من قبلك من اخواننا المسلمين والسلام . وكان عند الزوال من يوم الجمعة وعلق الظفار من جناح حمام كان احتمله معه لهذا الحال فكان الناس باشبيلية اقنط ما كان في ذلك اليوم فوصل الحمام من يومه وقرات على الناس بمسجد اشبيلية فعم السرور وكثر الدعاء ثم بعد ذلك وردت الكتب فشرح مجمع هذا الفتح الجليل ثم كتب المعتمد ابن عباد والمتوكل ابن الافطس والمظفر عبد الله بن بلقين وكل من شهد الحرب من الملوك الى

الافاق مبشرين بما شفى الله به الصدور واذهب غيظ القلوب وملمين بما افاء الله عليهم من اقبالهم وكان مما كتب به المعتمد بن عباد الى حاضرة اشبيلية وسائر اعماله من انشاء الكاتب ابى عبد الله ابن عبد البر النمري ومن فصوله لما كان يوم الجمعة الثانى عشر لرجب سنة تسعة وتسعين واربعمائة سنى الله امرا يسر اسبابه وفتح لنا الى الفرج والفتوح بابه وعطف علينا القابل للثواب الغافر للذنب والتقينا مع الطاغية الباغية الذي اجاب الموت داعيه واخزى التوفيق مساعيه بعد غدر ابداه وجرى فيه مداه وكان تواعدنا معه الملتقي في سواه فاتى وانقض يجرر ذيل فخاره والغيب يشهد عليه بما ارداه والقدر يعلمنا انه طعمة من نواه فاستشرنا انه ابتدا بالغدر الذي يرديه وتعجل سلوك طريق لا تهديه وتحققنا انها مقدمة فتح سبقت ونوامس سعد عبقت والنصر لا تخفى دلائله واليمن لا تستره غلائله ففرح اخواننا المسلمون بالانصاف وتصافحوا بالاعتراف والانصاف وجرت البسائط ذيول الزرود وشكت الشفار فصل الصقيل للفرند ولما احلولك ليل الحرب واغطش وغار ماء تلجها فاغطش طلع فجر السعادة فانجح واذا من كتب السلامة اصبح الصبح وعن قريب طلعت شمسها تشرق وتهلك الكافرين وتحرق

ليس دونها حجاب يستر شعاعها ويحجب لماعها ولما تسامت الرؤوس
واحدق الرئيس بالمرؤوس ظللنا نتركن العمائم وكانها من اعجب الاحلام
نائم ولما صعد الموذنون اكراما فتنها ابد الابد من هاماتهم وحصدتها
بواتر قضتها بلاماتهم اعلنوا بكلمة الاخلاص فوق اذان وعت ما كانت
عنه صمت وادمعت انزلت القدم على ما كانت به همت وقرت العين
وانشرحت الصدور وانشرقت الارض كلها بهذا النور وهذا وفقكم الله
فتح الله توح انذار بين يرى نحواه بنصر يعجز فيه الحصر وقد كان في
اول اللقاء جولة على المسلمين فضل الله فيها بالشهادة لمن اهتم باتيها
ثم انزل سكينته فخطبت نصال المسلمين رقاب الكافرين فانكحتها
ابكارا صانتها حجال المغافر وحجبتها ستور الطوارق عن عيون المواتر
ولا مهر الا ما نووه من كرم نفوس جرت متطوعة وحشت الى
الخيرات مستمعة فتقبلهم الله انفالهم ووعدهم النصر فاوفى لهم فتلقوا
رحمكم الله هذه النعم بالشكر كما تلقينا وقولوا الحمد لله رب العالمين
على نعم اصبحنا فيها وامسينا والله يوصلها بالتاييد ويشفعها بالتوفيق
والتسديد والسلام . ولما قضى الله بهذا الفتح الجليل والصنع الجميل
قام المسلمون في جمع اسلابهم وضم عددهم مدة ايام فامتلات ايديهم
بالغنايم الوافرة والسبى الكثير واكتسبت الناس فيها من آلات

الحروب والاموال وسيوف الحلى ومناطق الذهب والفضة ما اغنام
وكان يوم لم يسمع بمثله من اليرموك والقادسية فياله من فتح ما كان
اعظمه ويوم كبير ما كان اكرمه فيوم الزلاقة ثبتت قدم الدين بعد
زلاقها وعادت ظلمة الحق الى اشراقها نفست مخنق الجزيرة بعض
التنفس واعتز بها رءوس الاندلس فجزى الله امير المسلمين
وناصر الدين ابي يعقوب ابن تاشفين افضل جزاء المسلمين بما بل
من ارماق ونفس من خناق ووصل لنصر هذه الجزيرة من حبل
وتجسم الى تلبية دعائها واستبقاء دمائها من حزن وسهل حتى هزموا
على يده المشركون وظهر امر الله وهم كارهون قال محمد بن الخلف
ولما فرغ من واقعة الزلاقة وانصرف اهل الاندلس الا بلادهم ورد
عليه خطب اوجعه ونبا افجعه بموت ابنه ابي بكر فتعجل ايابه الى
العدوة وقد انقضى في عدوه وطره هذا هو تلخيص الخبر عن جوازه
الاول الى الاندلس (الجواز الثاني) كان سنة احدى وثمانين
واربعمائة سببه حدث الوزير ابو بكر بن عقاب قال لما كان بعد الزلاقة
بسنتين وفدت على امير المسلمين يوسف بن تاشفين بحاضرة مراكش
جملة من الاندلس من اهل بلنسية ومرسية ولورقة وسبتة فشكوا
له ما حل باهل بلنسية من اهل الكبيطور وكان من ملوك الروم

حاصر بلنيسة سبع سنين حتى دخلها وشكوا له ما حل باهل مرسيه
واعمال لورقة وبسطة من شان لبيط وهو حصن حصين على راس
جبل شاهق بينه وبين اورقة نصف يوم تملكه العدو وكانت سراياه
تسير مشرقا ومغربا اذ كان في موسطة بلاد المسلمين فلم يزل وجوه
الاندلس من تلك البلاد يترددون اليه بالشكوى حتى وعد بالجواز
اليهم اذا تمكن الفصل ثم ان ابن عباد تحرك من اشبيلية فى خاصته
وعبر البحر الى يوسف بن تاشفين فتلقاه بالدخلة على وادي سبوا
فتلقاه بوجه طلق وصدر رحب واكرام جم وقال له ما السبب الذي
دعاك الى الجواز الينا وهلا كتبت فقال له جئتك احتسابا واجتهادا
واعتضاما للدين وقد اجرى الله الخير على يدك وحظك مما جئت به
الا وفر وقد اشتد ضرر النصارى على حصن لبيط وعظم اذاه للمسلمين
لتوسطه في بلادهم ولا جهاد اعظم منه اجرا ولا اثقل في الميزان
وزنا فتلقى امير المسلمين مقصده بالقبول ووعده بالحركة والجواز
فاستحثه واستوثق منه وصار الى حاضرة اشبيلية وتقدم الى كل طبقة
من اهل مملكته بالاستعداد واكثر من اعمال السهام والبطارد وعمل
الرعادات وغير ذلك من الالات ولما رتب اشغال الروم مهد احواله
وكمل من ذلك ما حوى له اتصل به قدوم امير المسلمين وجاز البحر

واستقر بالجزيرة الخضراء فتلقاه ابن عباد على عادته بما يقدر عليه من
المكرامات والمبراة وانفذ امير المسلمين كتابه للملوك الاندلس
يستدعيهم للجهاد معه والموعد حصن لبيط فاجتاز على مالقة واستنفر
صاحبها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس وتلاحق به المظفر
عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة والمعتصم بن صمادح من المرية
ووافى رؤساء الاندلس من شقورة وبسطة وجيان ومن كل مكان
ولما جاءهم من مرسية النجارون والبناءون والحدادون واضطربت
المحلة محدقة بحصن لبيط وكان بداخله من الروم الف فارس واثنى
عشر الف راجل واتصلت السابلة وكثر الوارد واتصلت الحروب
على الحصن ليلا ونهارا وكل امير من امراء الاندلس يقاتل في يومه
بخيله ورجله مداولة بينهم وتمادى ذلك اشهر واجتمع المعتمد بن عباد
ويوسف ابن تاشفين وظهر لهما من حصانته ومنعته واستعصاء ثقبه
ما ايسهم عنه وانه لو كان دون سور لكان شفا جرف عاصما لمن فيه
وانه لا يتاتى لهم اخذه الا بالمطاولة وقطع مادة القوم عنهم وكان من
جملة من وصل من رؤساء الاندلس ابن رشيق صاحب مرسية
الثائر بها على المعتمد ابن عباد فشكى ابن عباد بابن رشيق لامير
المسلمين وذكر اعتداءه عليه وانه دفع جبايتها مصانعة للطاغية ادفنش

فحضر ابن رشيق واستفتى يوسف بن تاشفين في امرهما الفقهاء
فوجب الحكم على ابن رشيق فامر يوسف ابن تاشفين بالقبض عليه
واسلامه في يد ابن عباد ونهاه عن قتله فشفعه ابن عباد فهرب الى
اللجين اصحاب ابن رشيق وقرابته وجميع محلته الى مرسية وانتزلوا
بها ومنعوا الميرة عن المحلة فاختلفت امورها ووقع الغلاء بها وارتفع
السعر فيها فضاقت بالناس الاحوال وفي اثناء ذلك استصرخ اهل
الحصن سلطانهم فاخذ في الحشد ويمم الحصن في امم لا تحصى
فاقتضى راي يوسف بن تاشفين التوسعة عن الحصن والتاهب للقائه
فتاخر بمحلته الى تربانة وهو موضع الماء والتمر وظهر له ان الادفنش
اذا وصل فغايته تخليص قومه واختلاء الحصن ونزول ضرره وان
الصواب خلاء الطريق له ولما وصله اللعين وجد قوما جباعا لا يقدرون
على امساك الحصن فاحرقه واخرج من فيه من قومه وجرد يوسف
من عسكره جيشا ينيف على اربعة الاف فارس بعثه الى جانبية
واردف بعده عسكرا عظيما قدم عليه محمد بن تاشفين الى جهة جانبية
وانصرف من هنالك الى العدوة فتحرك الجميع بحركته وعادوا الى
بلادهم وهذا تلخيص خبر جوازه الثاني الى الاندلس ﴿الجواز الثالث﴾
كان جوازه الثالث في سنة ثلاث وثمانين واربعمائة سببه انه لما كان

على حصن لبيط نقل اليه على ملوك الاندلس كلام لا احفظه واوغر
صدره عليهم وهو الذي ازعجه الى العدوة ولما تبين لهم تغييره عليهم
واعراضه عنهم نظر كل واحد منهم لنفسه بغاية جرمه فاول من شهر
ذلك وتظاهر به وجد فيه المظفر عبد الله بن بلقين ابن باديس
واتصلت انباؤه بيوسف بن تاشفين فاشتد غضبه واستزاد حرجه
عليه ولما احتل بالجزيرة الخضراء وافاه ابن عباد فتلقاه بعادته من
التعظيم واحتفل في التضييف والتكريم وتوالت عليه الاخبار من
الامير عبد الله بن بلقين بما يغيضه ويحقده فاستنزل من مالقة اخاه
المستنصر تميم بن بلقين وتوجه الى غرناطه فلقيه المظفر عبد الله بن
بلقين خارج الحاضرة فسلم عليه وترجل اليه ودخل معه البلد فسلم
اليه الامر وقام ينظر في توطئة البلاد وتمهيد الامور واحتماه واخاه
المستنصر تميما الى العدوة واسكنهما باغمات وقد استوفى الكلام في هذا
الامير عبد الله بن بلقين في الكتاب الذي الفه في دولة قومه وكان
المعتمد بن عباد والمتوكل ابن الافطس قد قدما عليه بغرناطة يهنيانه
بما تهيأ له من ملك غرناطة ومالقه فلم يقبل عليهما وانصرفا عنه الى
بلادهما وادرك ابن عباد الندم على استدعاء يوسف بن تاشفين الى
الاندلس وقال لخليفته المتوكل ابن الافطس والله لابد له ان يسقينا

من الكاس التي اسقى بها عبد الله بن بلقين ولما عاد ابن عباد الى اشبيلية
اخذ في بناء الاسوار وعمل القنطرة فقال ابنه ابو الحسن عبد الله
الرشيد الم اقل لك يا ابت يخرجنا هذا الصحراوي من بلادنا ان انت
اوردته علينا قال يا بني لا ينجي حذر من قدر ولما كان في سنة اربعة
وثمانين واربعمائة تحرك يوسف بن تاشفين الى سبتة لجواز عساكره
اللمتونية الى الاندلس لمنازلة ملوك الطوائف وحصارهم في بلادهم
وفي اثناء مقامه بها امر ببناء المسجد الجامع بسبتة والزيادة فيه فزاد
فيه حتى اشرف على البحر وبنى البلاط الاعظم منه وامر ببناء سور
الميناء السفلى وشرع في جوازهم فقدم ابن عمه الامير سيدي ابن ابي
بكر على عسكر وامره بمحاصرة ابن عباد باشبيلية واوعد اليه انه اذا
قضى من شانه فيتقدم لبلاد المتوكل ابن الافطس وقدم ابا عبد الله
بن الحاج على عسكر ثاني وامره بمنازلة الفتح الملقب بالمامون ولد
المعتمد بن عباد بقرطبة وقدم ابا زكرياء بن واسنوا على عسكر ثالث
وامره بمحاصرة المعتصم محمد بن معن بن صمادح بالمرية وقدم جرور
الحبشي على عسكر رابع وامره بمنازلة يزيد الراضي ولد المعتمد بن
عباد بن ندة فجوز العساكر وانصرف كل فريق الى حيث امره
واقام هو بسبتة مترقبا لانبائهم متشوفا لما يحدث عنهم وكان منهم

بالاندلس ما هو مشهور الاستيلاء على بلادهم والغلبة على
مملكتهم ليس هذا موضع التقصي لاخباره لما قصد من ايجاز
القول واختصاره ولم يبق بالاندلس ولاية الا بني هود فان
المستغني بالله ابا جعفر احمد ابن المؤتمن بالله ابي الحجاج يوسف ابن
المقتدر بالله ابي جعفر بن المستعين بالله سليمان بن محمد ابن هود
الجرامي اقام ببلاده بشرو الاندلس وحصنها وملك رعينة فخاف
امره ولم تدخل عليهم بسببهم داخلة وكان مع ذلك يهادي امير
المسلمين ويكاتبه وقال له في مكاتبته نحن بينكم وبين العدو سد
لا يصل اليكم ضرر ومطاعين تطوف وقد قنعنا بمسالمتكم فاقنعوا
منا بها الى ما نعينكم به من نفيس الذخر . ووجه اليه ابنه عماد الدولة
ابا مروان عبد الملك فاجابه يوسف ابن تاشفين الى ما اراد وسما
جاوبه به ما نصه من امير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين
الى المستعين بالله احمد بن هود ادام الله تاييده من حاضرة مراكش
حيث تتلى اية شرفك ومثاثر سلفك ونحن نحمد الله بجميع المحامد
ونستهديه احسن الموارد ونسئله اتم الفوائد وانجح المقاصد ونصلي
على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صفوة اوليائه وخاتم انبيائه
واما الذي عندنا ايدك الله لجنابك الكريم ومجدك الصميم ومحلك

المعلوم فود صريح وعقد في ذات الله تعلى صحيح ووردنا نشاة السيادة والنبل والنباهة والفضل ابو مروان عبد الملك ابنك ولادة وتنسبا وابننا وداداً وتقرباً زاد الله به عينك قرة ونفسك مسرة ومعه خاصتك الوزيران ابو الاصبغ وابو عامر اكرمهما الله بتقواه وكلا وفيناه حق نصابه واتينا بره من بابه وادينا اليك كتابك الجليل الخطير المقبول المبرور فوقفنا منه على وجه شخوصهما واصغينا في تفصيل جملة الى تخليصهما فالقينا لهما مراجعة في ذلك ما لقنوه وسفرنا لهما عن وجه قصدنا فيه حتى استبانوه وجملته الوفاق وجماعة الانتظام في سلك ما يرضي الله تعلى والاتساق. ان شاء الله تعلى والسلام فاقام ابن هود رخي البال يهدد النصارى بالمسلمين ويهدد المسلمين بكونه حائلا بينهم وبين بلاد لافرنج والاردمانيين وقد كان الافرنج قبل ذلك باعوام قريبة العهد خرجوا من الارض الكبيرة الى الاندلس في جموع كثيرة ليس لها حد ولا يحصى لها عد الا الله انتشروا على ثغور سرقسطة واثخنوا وقتلوا وسبوا وتغلبوا على مدينة برشيتر عنوة وقتلوا فيها نحو اربعين الفا ما بين فارس وراجل واسروا النساء والاولاد فاسترجعها من ايديهم ابن هود ودخلها عليهم عنوة يذكر انه تالف عنده في استفتاحها ستة الاف من الرماة الفسي

العقارة فدخلها عنوة ولم ينج منهم الا اليسير (قال البراكي) دخل منها سرقسطة نحو خمسة الاف سفينة والف درع فشاع لابن هود بهذا الفتح الذي اتفق على يده صيت بعيد وكان بيد المستعين يومئذ بلاد الثغر الاعلى كلها سرقسطة وطليطلة وقلعة ايوب ودروقة ووشقة وبريشتر ولاردة وافراغة وبلفى ومدينة سالم ووادي الحجاره الى ذلك كله وكان يتحف امير المسلمين يوسف بن تاشفين ويهاديه مما يحل بيده من نفيس الذخائر واليواقيت والجواهر اتصل اليه ذلك من الشام وذلك ان الشام كانت بها مجاعة كثيرة وكانت بلاد ابن هود بشرق الاندلس كثيرة الخصب فكان يبعث للشام اجفانا مشحونة بالزرع فتعود اليه بكل ذخيرة وتحفة خطيرة فتحصل عنده من ذلك ما لم يكن عند غيره من ملوك الاندلس وهذا هو تلخيص الخبر في الجواز الثالث الى الاندلس بحول الله وقوته

الجواز الرابع

كان جوازه الرابع اليها سنة ست وتسعين واربعمائة سببه برسم التجول عليها والنظر في مصالحها وكان معه ابنه بل ابناؤه الاميران ابو الطاهر تميم وابو الحسن علي وكان ابو الحسن علي اصغر سنا فقال فيه احد الشعراء الاندلسيون كلاما نبه فيه على مجده وشرفه فقال في ذلك

وان كان في الانسان يحسب ثانيا * علي وفي العلياء يحسب اولا
كذلكم الايدي سواء بنانها * وتختص في هن الخناصر بالحلا
ولما جال في بلادها وتطوف على اقطارها شبهها بعقاب راسه طليطلة
ومنقاره قلعة رباح وصدره جيان ومخالبه غرناطة وجناحه الايمن
بلاد الغرب وجناحه الايسر بلاد الشرق وبيان كيفية وضعها وتمثيلها
في الصفرة يبدوا بيان هذا التشبيه الذي هو راجع الى سياسة امرها
واعتبار اموالها ولما كان في سنة خمس وتسعين واربعمائة ولي عهده
الامير ابى الحسن وكتب عنه ولاية العهد لابنه المذكور الوزير
الفقيه ابو محمد بن عبد الغفور وكان رحمه الله عالم بلاغة به يهدى .
وامام شرف قدمه العلم والندى . وعاصم مجده هو الغاية والهدى .
ونص العهد: الحمد لله الذي رحم عباده بالاستخلاف وجعل الامامة
سبب الايتلاف وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي الف
القلوب المتنافرة واذل لتواضعه عزة الملوك الجبابرة (اما بعد)
فان امير المسلمين وناصر الدين ابا يعقوب يوسف بن تاشفين لما
استرعاه الله على كثير من عباده المومنين خاف ان يسئله الله غدا
عما استرعاه كيف تركه همالا لم يستنب فيه سواه وقد امر
الله بالوصية فيما دون هذه العظيمة وجعلها من اكد الاشياء

الكريمة كيف في هذه الامور العائدة بمصلحة الخاصة والجمهور وان
امير المسلمين بما لزمه من هذه الوظيفة وخصه الله بها من النظر في
هذه الامور الدينية الشريفة قد اعز الله رماحه واحد سلاحه فوجد
ابنه الامير الاجل ابا الحسن اكثرها ارتياحا الى المعالي واهتزازا
واكرمها سجية وانفسها اعتزازا فاستنابه فيما استرعى ودعاه لما كان اليه
دعي بعد استشارة اهل الراي على القرب والناي فرضوه لما رضيه
واصطفوه لما اصطفاه وراوه اهلا ان يسترعى فيما استرعاه فاحضره
مشترطا عليه الشروط الجامعة بينها وبين المشروط فقبل ورضي
واجاب حين دعى بعد استخارة الله الذى بيده الخيرة والاستعانة
بحول الله الذى من آمن به شكره وبعد ذلك مواعظ ووصية بلغت
من النصيحة مرامى قصية يقول في خاتمة شروطها وتوثيق ربوطها
كتب شهادته على النائب والمستنيب من رضى امامتها على البعيد
والقريب وعلم علما يقينا بما وصاه في هذا الترتيب وذلك في عام خمسة
وتسعين واربعمائة وكان من الشروط في تقديمه للعهد التى اشترطها
عليه ابوه تركب سبعة عشر الف فارس بالاندلس موزعة على انظار
معلومة يكون منها باشبيلية سبعة آلاف فارس وبقرطبة الف فارس
وبغرناطة الف فارس وفي المشرق اربعة آلاف فارس وباقي العدد

على ثغور المسلمين للذب والمرابطة في الحصون المصاينة للعدو وفي
جوازه هذا اعمل سيره على مدينة اليسانة وهي مدينة مانعة سورها من
اعظم الاسوار انفرد بسكناها اليهود كان سبب اجتيازه عليها ان
رجلا من فقهاء قرطبة وجد مجلدا من تاليف ابن حسرة الجبلي
القرطبي اخرج فيه حديثا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود
الزمت نفسها انها اذا جاءت الخمس مائة عام من مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يجئهم شيء منهم على ما زعموا فان الاسلام
لازم لهم لانهم وجدوا في التوراة قول الله تعالى لموسى عليه السلام
ان النبي الرسول الذي معناه محمد لابد من ظهور الحق على يده ونوره
متصل باتصال الساعة فزعمت اليهود انه منهم وانه لم يجيء الى راس
الخمس مائة عام والا فهو هذا فرفع هذا الفقيه القرطبي الامر الى
امير المسلمين فاجتاز على مدينتهم ليرى ما يصنع فيهم فيذكر انه
استخلص منهم جملة مال بسبب ذلك وان القاضي ابا عبد الله محمد
ابن علي بن احمد بن التغلبي اجرى مسألتهم معه على وجه تركهم
فعمل ومما ينظر الى قريب من هذا المعنى ما حكي عن احد عمال البحرين
انه لما وليها جمع اليهود في سائر عمله فقال لهم ما تقولون في عيسى ابن
مريم فقالوا قتلناه وصلبناه قال فاديتم ديته قالوا لا والله فقال لا

والله لا تخرجون حتى تؤدوا ديته فاغرمهم عشرة الاف دينار وهذا
الذي بلغنا من خبرهم وانقضاء امرهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما

﴿ سيرة امير المسلمين يوسف ابن تاشفين ﴾

كان رجلا فاضلا خيرا زكيا فطينا حاذقا لبيبا عاردا ياكل
من عمل يده عزيز النفس ينيب الى خير وصلاح كثير الخوف
من الله عز وجل اكبر عقابه الاعتقال الطويل وكان يفضل الفقهاء
ويعظم العلماء ويصرف الامور اليهم وياخذ فيها برايهم ويقضي على
نفسه بفتياهم اقامت بلاد الاندلس في مدته سعيدة حميدة في رفاهية
عيش وعلى احسن حال لم تزل موفورة محفوظة الى حين وفاته رحمه
الله وقد كان الجهاد انقطع بها منذ تسع وسبعين سنة من مدة عال
عامر الى حين دخوله اليها قدم اشياخ المرابطين فيها وكانوا اقواما
ربتهم الصحراء نيتهم صالحة لم تفسدها الحضارة ولا مخالطة الاسافل
(قال ابن اليسع) وكان ترتيبهم في الاندلس انهم لم يزيدوا فارسا
على خمسة دنانير للشهر شيئا مع نفقته وعلف فرسه فمن ظهرت نجدته
واعانته وشجاعته اكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده وتركوا الثغور
المواجهة لبلاد العدو في حكم الاندلسيين لكونهم اخبر باحوالها

وادرى بلقاء العدو وشن الغارات ولم يمكنوا من ولايتها احدا سواهم
مع الاحسان اليهم وكانوا متى ما وصلتهم خيل من العدو بعثوا بها
الى اهل الثغور فلما قربت وفاته اوصى ابنه ولي العهد بعده ابا الحسن
علي بثلاثة وصايا احدها . الا يهيج اهل جبل درر ومن ورائه من
المصامدة واهل القبلة . الثانية ان يعادن بني هود وان يتركهم
حائلا بينه وبين الروم . الثالثة ان يقبل من احسن من قرطبة
ويجاوز عن مسيئهم وقد مات في شهر ربيع الاخر سنة خمسمائة
ودفن بقصره بحاضرة مراكش وحضر موته ابناؤه الامير
ابو الطاهر تميم وابو الحسن علي مع من حضر من عترته الصنهاجيه
واسرته اللمتونية فبض وهو على اوله في العزم والجد في نصر الدين
واظهار الكلمة وعضد الاسلام رحمة الله عليه (قال محمد) بن الخلف
في البيان الواضح ومما سلى النفوس كل النسلية واطفا نار الرزية
ما كان من نظره الجميل ورايه الاصيل من توليج الاسر في حياته
لابنه الامير ابي الحسن ذي العقل الرصين والراي الحسن قدس الله
روحهما وبرد ضريحهما وهنا انتهى جوازه الرابع الى جهة من
الاختصار لسفره والالماع بنبذة من خبره واعود الى التعريف
بذكر ولده وولي عهده وما جرى من الحوادث من بعده ومساق

طرف من مراكش واخبارها ومدة حصارها ان شاء الله

امير المسلمين علي بن يوسف

كنيته ابو الحسن ابن تاشفين الوالي بعده ابو بكر ويدعى ببكور
كان ذا حدة ونجدة سجنه ابوه مكبولا بالجزيرة الخضراء الى ان
مات ولد له وهو ابن ستة عشر سنة ابو حفص عمر الكبير تميم الذي
ثار على ابن اخيه ابراهيم وهو اصغرهم سنا امه رومية تسمى فاض
الحسن . ووزر وه انذان ابن عمر ثم بعد ذلك في اخر مدته
استوزر اسحاق بن نتيان بن عمر بن نيتان ولما بلغ سنه ثمانية عشر
سنة وكان يتوقد ذكاء ونبلا وفهما فاعجب به اعجابا كثيرا وجعل له
النظر في المظالم والشكايات فانتفع به الناس في امورهم وكافة
شؤنهم وكان في طبعه ومولده مثل كاهن يات بعجائب الاخبار ولما
ولي علي بن يوسف بعد ابيه اضطلع بالامور احسن الاضطلاع وقام
احمد قيام وكان يقصد مقاصد العز في طرق المعالي ويحب الاشراف
ويقلد العلماء ويؤثر الفضلاء كثير الصدقة عظيم البر جزيل الصلة
البسه الله المهابة . وقذف له في القلوب المحبة . فاجتمعت عليه الامة .
واتفقت الكلمة . وبايعه اخوه الامير ابو الطاهر تميم وكان اكبر سنا
منه وهو اول من استعمل الروم بالمغرب واركبهم وقدمهم على جبايه

المغارم وكان ذكيا فقيها مكرما لاهل العلم مقلدا لامور الفقهاء وغزا بنفسه لبلاد الروم فخلا بسببه كثيرا من احواز طليطلة وحاصر مدينة طلبيرة وجاز الى الاندلس في مدته ومدة ابيه فانه جاز اليها في خلافته اربع مرات

الجواز الاول

كان جوازه اول سنة خمسمائة لما ولي الامر بعد ابيه لتفقد احوالها وسد خللها فاحتل بالجزيرة الخضراء وبادر اليها قضاة الاندلس وفقهاؤها ورؤساؤها وزعماؤها واداموها وشعراوها فاجزل لهم العطاء وقضى لكل ارب اربه

الجواز الثاني

سنة ثلاث وخمسمائة برسم الجهاد ونصر الملة واعزاز الكلمة فقصد طليطلة ونزل على بابها وجاز المدينة المشهورة بخارجها وانتشرت جيوشه على تلك الاقطار ودوخ البلاد بلاد المشركين بالفرار الى المعاقل واعتصموا بالحصون المنيعة ونزل على طلبيرة وافتتحها عنوة ولم يعهد مثل هذه المدوة قوة وظهورا وعدة ووفورا

الجواز الثالث

سنة احدى عشر وخمسمائة افتتح فيها مدينة قلمريت ودوخ بلاد

الشرك بجيوش لا تحصى وكان اثره بها عظيما

الجواز الرابع

سنة خمسة عشر وخمسمائة للحادث الواقع بقرطبة وذلك ان اهل قرطبة كان قدم عليها الامير ابي يحيى بن رواده فحدث بينه وبين اهلها ما اوجب قيامهم عليه وحدثت بين اهلها وبين من كان فيها من المرابطين فتنة كثيرة ونهبوا ديارهم وقصورهم فبلغ ذلك علي بن يوسف فجند الجنود وحشد صنهاجة وزناتة والمصامدة واخلاط البربر وجاز الى الاندلس في عسكر لم يجتمع مثله للمرابطين قبله فاحتل بخارج قرطبة فغلقوا ابوابها ودربوا مواضع من حارتهم واستعدوا لقتاله واستفتوا علماءهم فافتوهم انه متى عرض الحق وبين له السبب فيما جرى بين المرابطين واهل قرطبة وانه لم يكن بداءة منهم وانما كان ذبا عن الحرم والدماء والاموال والبادي اظلم فان تمادى على نصر هواه واتباع اغراض المفسدين وجب القتال على الحرم والدفع عن الحوزة حتى يراجع الله به ولما طال مقامه عليها تردد اليه وجوه قرطبة واعيانها وذكروه بوصية ابيه امير المسلمين ان يقبل من احسن من اهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم فوقع الاتفاق على ان يؤدوا له مالا عوضا مما نهب للمرابطين فرضي ورضوا وبينما هو

في ذلك اذ بلغه المهدي بالسوس الاقصى فعاد الى العدوة حسبما
ياتي ذكره بعد هذا ان شاء الله وفي سنة اثنى عشر وخمسمائة وصله كتاب
من الخليفة العباسي ببغداد ونصه من عبد الله ابي العباس المستظهر
بالله امير المومنين الى زعيم الدولة العباسية وزعيم شيوخها المغربية
علي بن تاشفين احسن الله توفيقه (اما بعد) فالحمد لله مقدم على كل
مقال وتال كل فعال وهو ذو المن والافضال الكبير المتعال وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد المؤيد بالتنزيل الذي كشف عن الامة الغمة
واستنقذ من الضلالة الامة حمى به المحارم ما كان مباحا واقتدح من
القلوب زنادا اورى بعد ما كان شحاحا والبس الدين بعد ما كان
بالعراء من البسيطة جناحا وعلى ازواجه وذريته ما عقب مساء
صباحا وخص العباس بن المطلب عم النبوة ووارث الخلافة
وشقيق الابوة الميمون الطاهر الغاهر للاوائل والاواخر بالصلاة
المستهلة العهاد المتصلة الامداد ومواهب الله على امير المسلمين
حبايس ومنائحه لديه كوابل نفائس وجنائب الاسلام
مرتبع وباع الحق وسيع ورياض العدل اريضة وعيون الحق عريضة
ونظره للرعايا على ما يقتضيه قصدها ومرادها ويقل عنهم شبا
الايام اذا رهف حدها والنصر لرايته الف والظفر بجيوشه غلاب

واعداؤه للسيوف حصائد والحتوف طرائد وشكره لله تعلى على ما
اولاه شكر مؤذن بالمزيد وشاهد بصنع لا يبيد وعرض بحضرة
امير المؤمنين كتابه الموضح لاختلاي السيرة المطبوعة بطبائع
الدين المعربة عن تمسكك بطاعته بحبل الله المتين الهاطلة سحائبها من
سماء سيرتك المضيئة مصابيحها من اخلاص طريقتك واما ما نهيته
من توفر الاجناد ومثابرتك على الجهاد لرفع ادناس الكفرة مما يليك
من البلاد فانك وطائفتك من حزب الله وحزب الله هم الغالبون
فاتخذ التقوى عمادك والحق منارك وكتاب الله وسنة رسوله شعارك
وتجرد عن الدفاع عن الاسلام والمسلمين وحط من صمادك في نحور
اعداء الله الكافرين واعلي بالدعاء للامير على ذوائب المنابر تكن الظافر
باعداء الظاهر والسلام عليك وعلى من قبلك من اهل الطاعة سلام
يهديهم الى المقام المحمود ويكنفهم بظل الرحمة المحدود ورحمة الله
وبركاته والمكتوب عنه هذا الكتاب هو الخليفة الثامن والعشرون من
خلفاء بني العباس وهو ابو العباس احمد المستظهر بالله بن عبد الله المقتدي
بامر الله ابن الذخيرة محمد ابن القائم بامر الله ابن القادر بالله ولي الخلافة بعد
ابيه وبويع له «بسر من راى» وفي خلافته استحوذ الروم على بيت المقدس
وبعض بلاد الشام وفي سنة تسع عشرة وخمسمائة جاز القاضي ابو الوليد بن

رشد الى مراكش فتلقاه امير المسلمين علي بن يوسف بالمبرة والكرامة
وبين له القاضي امر الاندلس وما اصيبت به من النصارى المعاهدين
بها وما جروه اليها وجنوه عليها من استدعاء ابن ردمير وتقويته على
المسلمين وامداده وما في ذلك من نقض العهد والخروج عن الذمة
فلقي نظره بالقبول وافتاه بتغريبهم واجلائهم عن اوطانهم وهو
اخف ما يؤخذ به في عقابهم ونفذ عهده الى جميع بلاد الاندلس
بازعاج المعاهدين الى ناحية مكناسة وسلا وغيرها من بلاد العدوة
انكرتهم الاهواء واكلتهم الطرق وفي هذه السنة سنة تسع عشرة
وخمسمائة خرج الطاغية بن ردمير الى بلاد المسلمين بلاد الاندلس
فتحركت له ريح الظهور وذلك ان النصارى المعاهدين بكورة غرناطة
وغيرها خاطبوه من تلك الاقطار وتوالت عليه كتبهم وتواترت
رسلهم ملحة في الاستدعاء مطمعة بدخول غرناطة وانه لما ابطا عنهم
وجهوا اليه تفسيرا يشتمل على اثنى عشر الفا من انجاد مقاتلتهم
واخبروه مع هذا ان من سموه هو ممن شهدت اعينهم لقرب مواضعهم
وان بالبعد منهم من يخفى اثره ويظهر عند وروده عليهم سخطه
فاستثاروا طمعه وابتغوا جشعه واستفزوه باوصاف غرناطة وما لها
من الفضل عن سائر البلاد وكثرة فوائدها من القمح والشعير

والكتان وكثرة المرافق والحرير والكروم والزيتون وانواع الفواكه
وضروب المرافق وكثرة العيون والانهار ومنعة قصبتها وانطباع
رعيتها وتاثر اهل حاضرتها المباركة التي يملك منها غيرها وانها بسنام
الاندلس عند الملوك في تواريخها فتموا حتى اصابوا عزمة فانتخب
واحتشد وتهيا في اربعة الاف فارس اختارها من بلاد رغونة
بتوابعهم وتعاقدوا وتحالفوا بالانجيل انه لا يفر احد منهم عن صاحبه
فخرج على سرقسطة في منسلخ شعبان من هذه السنة واجتاز على
بلنسية بها الشيخ ابو محمد يدر بن وركاء بجماعة من المرابطين واقام
بها يقاتلها مدة وفي اثناء ذلك وصله عدد وافر من النصارى المعاهدين
يكثرون سواده ويدلون على الطريق وينبهون على المراشد التي تضر
المسلمين وتنفعه واجتاز على جزيرة شقر فقاتلها اياما خسر فيها ولم
يربح ثم رحل منها الى دانية وقاتلها ليلة عيد الفطر من هذه السنة
وشق بلاد المشرق مرحلة مرحلة ومنزلة منزلة وشن الغارة على كل
قصر مر به واجتاز على فنج شاطبة حتى اتى مرسية ثم اجتاز بالمنصورة
ثم صمد الى برشانة ثم تلوم بواد تاجلة ثمانية ايام ثم تحرك الى مدينة
بسطة فلحقه الطمع فيها لكونها في بسيط من الارض واكثر حاراتها
غير مسورة فلم يعنه الله عليها ثم توجه الى وادي عاش في يوم الجمعة